يهود مصر: نظرة فى التاريخ

بقلم: د. عبدالرازق أحمد قنديل
كلية اللغات والترجمة/جامعة الأزهر

أولا : العصر القديم :

من الواضح أننا اذا أردنا تتبع المسار التاريخى لما قام من تواجد لليهود فى مصر أو علاقتهم بها أرضا وشعبا فان الأمر يتطلب منا عود الى الماضى السحيق اذ أن العلاقة بين اليهود وبين مصر والمصريين موغلة فى القدم. فاذا تجاوزنا عن الفترة القصيرة التى مكث فيها خليل الله ابراهيم عليه السلام فى مصر[1] تزوج بعدها من هاجر المصرية التى أنجبت له سيدنا اسماعيل عليه السلام ، أقول اننا اذا تجاوزنا عن هذه الفترة فان العلاقة الفعلية كما يقول معظم الباحثين – تبدأ بحق يوم أن تقلد يوسف الصديق عليه السلام زمام الأمور على خزائن فرعون مصر[2] فى وقت كانت البلاد مهددة بمجاعة كبيرة أقضت مضجع فرعون ، وطاردته حتى فى أحلامه التى فسرها له يوسف ، الأمر الذى جعل فرعون مصر يسند اليه أمور الخزانة والمعيشة فى ملكه ليدبر بنفسه الامور . وبعد أن تحقق مافسر به ورحف القحط على المنطقة كلها كما رحف أيضا على فلسطين نجد أن والده يعقوب يرسل أخوته الى مصر فى طلب الغلال والمؤن وعرفهم يوسف دون أن يعرفوه الى ماكان من حادث السرقة المفتعل الذى دبره يوسف وحجزه لأخيه الأصغر الى أن يأتى والده على مانجد تفصيلا له فى سورة يوسف وفى اصحاحات متعددة من التوراة الى أن عادوا بأبيهم واستوطنوا مصر بعد ترحيب المصريين بهم وترحيب فرعون أيضا حتى أنه أرسل عربات لحمل

---

1) هذا على اعتبار رواية العهد القديم ومعظم المؤرخين اليهود الذين يعتبرون ابراهيم أبا للعبريين فى حين نص القرآن الكريم على عكس ذلك حيث قال تعالى : " ماكان ابراهيم يهوديا ولانصرانيا وانما كان حنيفا مسلما ".

2) للمزيد من التفاصيل عن قصة يوسف وماكان من أمر بيعه فى مصر بعد أن القاه أخوته – غيره منه – فى البئر ، وسجنه فى سجن فرعون والافراج عنه بعد تفسيره أحلام فرعون وتحذيره من سنوات القحط المقبلة . انظر :
قصص الانبياء : الشيخ عبدالوهاب النجار. دار الثقافة – بيروت . لبنان
تاريخ الرسل والملوك: لابى جعفر محمد بن جرير الطبرى ج١. دار المعارف . بيروت . البداية والنهاية لابن كثير ، ج ١ . دار الفكر . بيروت.
تكوين : ٣٧، ٣٩، ٤٠–٤٦.

يعقوب وأهله ليوفر عليهم عناء الرحلة من أرض كنعان الى مصر[١]، فلما وصلوا مصر خصص لهم مكانا معينا فى شرق الدلتا حيث أقاموا هناك واستوطنوا ومرت بهم الأيام وزاد عددهم ، وخشى فرعون مصر الجديد منهم بعد ذلك خاصة بعد أن مات يعقوب ومن بعده يوسف ، وكانوا مصدر خوف لفرعون اذ اعتقد فى انضمامهم لاعدائه ضده . وبدأت سلسلة من الاضطهاد لهؤلاء اليهود.[٢]

ومرت فترة طويلة لم يشر اليها المؤرخون على وجه التحديد الى أن جاء موسى وقصة مولده والقائه فى اليم خشية أن يقتله عمال فرعون تنفيذا لأوامره بقتل الابناء الذكور للعبريين هذه القصة معروفه ووارده فى القرآن الى أن انتشله بيت فرعون وتربى هناك حتى أصبح رجلا مسئولا ، عند ذلك أرسله الله سبحانه الى فرعون يدعوه الىالتوحيد التىكانت مفاجأة له وهو الذى يعتبر نفسه الها يعبده المصريون . فازداد اضطهاد فرعون لموسى وقومه الى أن أمر الله نبيه بالخروج ببنى اسرائيلمن مصر .

ويذكر بعض المؤرخين أن خروج موسى عليه السلام من مصر مع قومه كان فى عهد منفتاح[٣] ابن رمسيس الثانى ، واجتهد أصحاب هذا القول فى تأييد مايذهبون اليه ، ودللوا على صحة ذلك ببعض القرائن التاريخية ، وقد نقل عنهم هذا الرأى

---

١) تك ٤٥:١٦-٢٤ ، ٤٦:٨-٢٧.

٢) على الرغم من أن التوراة لم تذكر سببا لاضطهاد فرعون مصر لبنى اسرائيل بعد موت يعقوب ويوسف الا أن استقراء تاريخ هؤلاء القوم على مر عصورهم ومالاقوه من صنوف الاضطهاد والتعذيب كان نتيجة حتمية لما اقترفوه من حوادث وموامرات الأمر الذى يجعلنا نجزم بأن فرعون مصر لم يكن متعصبا ولامخطئا فى اجراءاته التى اتخذها ضدهم خاصة فى الفترة التى سبقت ارسال موسى اليه ودعوته للايمان . أما بعد أن أرسل موسى بدعوته وعدم ايمان فرعون بها ومانتج من اضطهاده فان الأمر يرجع بلا شك الى تشككه وعدم اعماله العقل السليم فى مادعاه اليه موسى .

٣) ويسمى أيضا فى مصادر اخرى مرنبتاح خلف أباه رمسيس الثانى عام ١٢٢٤ق.م وهو كبير السن وسار على ماكان يسير عليه . وهما من ملوك الاسرة التاسعة عشرة التى حكمت من (١٣٠٨- ١١٩٤ق.م) .
د. عبدالعزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ج ١ ص ٢٢٥ . الانجلو سنة ١٩٧٢.

الشيخ عبدالوهاب النجار فى كتابه قصص الأبياء ، غير أننا نجد فى الجانب المقابل لهذا الرأى جانبا آخر حيث تشكك بعض الباحثين فى الأمر وقالوا : " لم تتوافر حتى الآن أدلة كافية لاثبات خروج بنى اسرائيل فى عهد هذا الفرعون أو نفيه ، ويبدو أن قرائن النفى أقوى من قرائن الاثبات فيه "(١) وجزم البعض بعدم امكانية حدوث الخروج فى هذا العصر ، ورد الدكتور أحمد فخرى على من ذهب الى تأييد حدوث الخروج فى عهد منفتاح بقوله : " ان هذا الرأى لم يجد سندا من التاريخ... وتحقيق هذا الموضوع من تاريخ العبرانيين واحتساب الزمن ، ثم ماجاء من نتائج البعثات الأثرية فى فلسطين جعل خروج بنى اسرائيل فى عهد منفتاح يكاد يكون مستحيلا ، ويجب أن يكون فى عهد الاسرة الثامنة عشرة ".(٢) ويشير أيضا ول ديورانت فى قصة الحضارة الجزء الأول الى أن خروج بنى اسرائيل بقيادة موسى من مصر كان فى عهد الاسرة الثامنة عشرة ، الا أن فرويد يؤكد ذلك بقوله اننا يجب أن نحدد زمن الخروج من مصر بأنه جرى خلال الفترة التى وقعت بين حكم اخناتون وحكم من ولى العرش بعده سنة ١٣٥٠ ق.م(٣).

وبصفة عامة فان كل مايقال فى هذا ليس سوى افتراضات اذ أنه لم يظهر حتى الآن سواء فى الآثار المصرية التى تم الكشف عنها أو غيرها من الآثار الاخرى مايمكن أن يحدد يقينا وقت خروج هؤلاء اليهود من مصر تحديدا دقيقا وعلميا . واذا كانت المصادر التى أرخت لمصر القديمة بصفة عامة قد أجمعت على أن اليهود كانوا قد تمركزوا فى منطقة " جاسان " فى شرق الدلتا محافظة " الشرقية الآن " الا أننا نجد بعض المصادر الاخرى تذكر لنا أنه بالاضافة الى هؤلاء الذين كانوا يقيمون فى هذه المناطق فقد وجدت بعض جاليات يهودية أخرى منتشرة ومستقرة فى مناطق أخرى من مصر القديمة خاصة فى مصر العليا عند أسوان وفى بلاد النوبة وذلك حوالى القرن السادس

---

١) د. عبدالعزيز صالح : نفس المصدر والصفحة.
٢) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية . ص ٣٥٩-٣٦٠ . مكتبة الانجلو . ١٩٦٠ .
٣) سيجموند فرويد : موسى والتوحيد. ترجمة دكتور عبدالمنعم الحفنى. الطبعة الثانية ص ١٢٩. الدار المصرية سنة ١٩٧٨ .

ق . م . وان هذه المجموعة الموجودة فى بلاد النوبة يبدو أنها كانت تستخدم فى أعمال الحراسة والنظام هناك .(١)

وقد يفهم من خروج بنى اسرائيل من مصر تحت قيادة سيدنا موسى عليه السلام فرارا من اضطهاد فرعون طبقا لرواية التوارة أو هجرة بدين الله الذى أرسل موسى لتبليغه لفرعون مصر ولشعب بنى اسرائيل طبقا لما جاء فى القرآن أنه لم يتبق فى مصر أحد من اليهود فى ذلك الوقت ، وان العلاقة - بهذا الخروج - بين مصر واليهود قد انقطعت . غير أن المرجح أن هذا الخروج لايعنى خروج اليهود عن بكرة أبيهم بحيث لم يتبق أحد منهم ، وانما يعنى خروج السواد الاعظم منهم ، وان ذلك من قبيل اطلاق الكل على الجزء، وان خروج اليهود يأتى هنا من باب التغليب تماما كما حدث بعد ذلك عند السبى البابلى على يد بختنصر بعد تصدع المملكتين الاسرائيليتين الشمالية والجنوبية . فهذا السبى لم يكن أبدا يعنى سبى جميع اليهود من فلسطين ، وانما سبى الصفوة المختارة منهم فقط والتى اعتقد بختنصر أن بقاءها فى فلسطين قد يتسبب فى احداث قلاقل واضطرابات له ولجيشه ، ولهذا يحدثنا المؤرخون عن بقاء كثير من العائلات هناك بدليل ماوجد بعد هذه الفترة من مدارس يهودية تكونت فى طبرية وغيرها من المناطق الفلسطينية فى فترة السبى الى جانب ماتكون فى بابل (العراق) من مدارس يهودية أخرى كان لها شهرتها . ومايزال التاريخ يحتفظ بتراثها الدينى بصفة خاصة الى اليوم .

ومن هنا نقول انه من المرجح والذى تؤيده احداث التاريخ بعد ذلك أن العلاقة بين اليهود وبين مصر لم تنقطع بالخروج منها سواء على الصعيد الرسمى فى علاقة الملوك بعضهم ببعض أو على الصعيد الشعبى . فعلى الصعيد الرسمى فاننا نعلم العلاقة بين المملكة اليهودية التى رأسها

---

١) د. عبدالمنعم أبوبكر : بلاد النوبه . المكتبة الثقافية . ابريل ١٩٦٢.

سليمان (٩٧٠/٩٣٠ق.م) وبين ملوك مصر فى تلك الفترة والتى أسفرت كما يذكر المؤرخون عن مصاهرة سليمان لاحد ملوك مصر[١] حيث تزوج ابنته ، كما عثر على رسائل كثيرة متبادلة بين ملوك مصر فى فترات مختلفة وبين اليهود مازالت محفوظة ضمن رسائل تل العمارنه الشهيرة ، وليس معنى ذلك أن العلاقات مع مصر كانت طيبه بصفة دائمة وانما كان ينتابها العديد من التقلبات التى كانت تؤدى أحيانا الى قيام الحروب بينهما[٢]، وان مصر كانت تفتح أبوابها للمنشقين على النظم اليهودية القائمة هناك[٣]، كما حدث مع رحبعام الذى هرب الى مصر .

---

١)تذكر المصادر اليهودية سواء العهد القديم أو ماكتبه مؤرخو اليهود بعدذلك أن سليمان لم يكن سوى ملك على اليهود خلف أباه داود على الملك . وأنه فى فترة العلاقات الطيبة مع مصر تزوج من ابنه ملكها سيشنق الاول (٩٥٠-٩٢٩ق.م).
שמעון דובנוב, דברי ימי עם עולם, כרך ראשון, ע" 31 - 50, הוצאת דביר, 1955.
والجدير بالذكر أن المصادر الاسلامية التى تعتبر سليمان نبيا أتاه الله الملك وعلمه منطق الطير والجن لم تشر الى هذا الزواج من قريب أو بعيد رغم ذكرها زوجات سليمان.
انظر : المسعودى : مروج الذهب. تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد. المجلد الأول ص ٥٧-٥٨ . المكتبة التجارية سنة ١٩٦٤ .
ابن كثير : البداية والنهاية . المجلد الأول ج ٢ ص ٢٩-٣٠ . دار الفكر. بيروت سنة ١٩٧٨ .
ابن جرير الطبرى : تاريخ الرسل والملوك . ج ١ ص ٤٨٦-٤٨٨ . دار المعارف سنة ١٩٦٧ .

٢) شمعون دفنوف: المرجع السابق ص ١٥٢-١٥٥.

٣) فى عهد سليمان ثار عليه " رحبعام (فر هاربا الى مصر وظل بها الى أن توفى سليمان فغادرها الى فلسطين غير أنه لم يتفق مع " يربعام" ابن سليمان وخليفته فى الحكم فانشق عليه أيضا وتسبب ذلك فى انقسام المملكة (انظر: دفنوف المرجع السابق ص ١٢٢ ومابعدها) .

هذا فيما يتعلق بما ساد العلاقة بين اليهود ومصر على الصعيد الرسمى . فاذا انتقلنا الى ماحدث من علاقات على الصعيد الشعبى والفكرى نجد أن معظم المصادر التى تحدثت عن الفكر والأدب وقضية التأثير والتأثر فى الفكر المصرى واليهودى قد أجمعت على أن تأثير الفكر المصرى القديم قد بدأ واضحا وجليا فيما خلفه اليهود من فكر دينى أو أدبى قديم متمثلا فى أسفار العهد القديم خاصة أسفار المكتوبات أو كتب الحكمة كما يطلق عليها البعض ، فقد ذكر بعض الباحثين نتيجة لما تم الكشف عنه من الآثار التى تشير الى هذه العلاقة الفكرية أن سفر الأمثال العبرانى ظل زمنا طويلا وهو يعد أقدم مجموعة من الحكم والأقوال المأثورة فى تاريخ الانسان المدون . ولكن عندما اكتشفت المدنية المصرية . وتم توضيح أوجهها فى غضون القرن ونصف القرن الماضيين عثر على مجموعات من الأمثال والوصايا المصرية وهى تسبق فى زمنها سفر الأمثال التوراتى بسنين كثيرة .[١] وقد علق بعض الباحثين على الأفكار والتشابهات الملحوظة والواضحة فى كل من سفر الأمثال والحكم المصرية القديمة بقوله : " ومن الواضح أيضا أن أفكار المصنف فى سفر الأمثال كانت تعتمد على الحكم المصرية القديمة ".[٢] وقد أورد برستد فى كتابه فجر الضمير العديد من الفقرات الواردة فى سفر الأمثال العبرى ومايقابلها من أقوال الحكيم المصرى أمينموبى[٣] منها :

سفر الأمثال العبرى (٢٢:١٧-١٨):	امينموبى المصرى
١٧- أمل اذنك واسمع كلام الحكماء ووجه قلبك الى معرفتى.	امل اذنيك لتسمع أقوالى واعكف قلبك على فهمها
١٨- لأنه حسن ان حفظتها فى جوفك ان ثبتت جميعا على شفتيك	لأنه شئ مفيد اذا وضعتها فى قلبك ولكن الويل لمن يتعداها .

وغير ذلك من الأمثلة أوردها برستد وعلق عليها بما يؤكد نقل كاتب سفر

---

١) صموئيل كريمر نوح :من الواح سومر . ترجمة : طه باقر . مراجعة دكتور أحمد فخرى . مكتبة المثنى ببغداد.

٢) د. ألفت محمد جلال : الأدب العبرى القديم والوسيط ص ٥١ . مطبعة جامعة عين شمس سنة ١٩٧٨ .

٣) جيمس هنرى برستد : فجر الضمير . ترجمة الدكتور سليم حسن ص ٢٩٨-٢٩٩ سلسلة الالف كتاب . مكتبة مصر . القاهرة . وانظر فى ذلك أيضا :

Erman ,A.: The Literature of the Ancient Egyptians. Translated by A. Blackman 1923.

الأمثال لهذه الحكم الواردة فيه فى أمور متعددة عن الحكم المصرية القديمة. ولم يقتصر الاقتباس من الأدب المصرى القديم على سفر الأمثال ، بل نجد هناك فى المزامير العديد من الأناشيد التى أرجعها الباحثون فى الأدب العبرى القديم الى أصلها مصر ، من ذلك على سبيل المثال المزمور رقم (١٠٤) فيقول برستد : " تعرف الاستاذ المأسوف عليه " هوجو جرسمان " البحاثه الضليع وصاحب الرأى الثاقب فى الأدب العبرانى ، بلا تردد على المنهل المصرى الذى استقى منه المزمور (١٠٤) المذكور الذى انحدر الى فلسطين على مايعتقد عن طريق فينيقية. بل قد ذهب الأستاذ " جرسمان" هذا الى أبعد من ذلك ، بأن تعرف على وجود مؤثرات أجنبية فى المزامير العبرانية حيث يقول : " ان أقدم موضوع اسطورى تناولته " الأناشيد العبرانيه " هو خلق العالم ، وهو وأسطورة الخلق نفسها يحتمل أنهمانشئا فى بابل ، وأما موضوع العناية الربانية بالعالم فانها فكرة جاءت فيما بعد وقد شقت طريقها الى المزامير الفلسطينية بتأثير مصر القديمة".

ويعلق برستد على ذلك بقوله : وبذلك تكشف لنا أنشودة اخناتون عن المنهل الذى استقى منه مؤلف المزمور العبرانى ادراكه لرحمة الله فى عون مخلوقاته حتى أصغرها ، أى أن موقف العبرانيين من جهة الطبيعة بصفتها عالم الكون ، وتصورهم لعناية الخالق الرؤوف بخلقه ، يرجع أصله الى أنشودة اخناتون ومايشبهها من الأناشيد الدينية بمصر القديمة".(١)

ولعل هذا كله يؤكد لنا أن الأصالة فى الأدب العبرى القديم تكاد تكون مفقودة ، بل ان الانتاج العبرى القديم كله يكاد أن يكون مقتبسا من حضارة الشرق الأدنى القديم السابقة على وجود الكيان اليهودى فى المنطقة بصورة منظمة سواء كان هذا الانتاج دينيا أم دنيويا، حتى النظم السياسية التى مارسها اليهود وطالبوا بها نجد أن المصريين قد سبقوهم على المستوى الشعبى

---

١) برستد : المرجع السابق ص ٢٩٤-٢٩٥ .

الى المطالبة بها وقد أشار بعض الباحثين الى ذلك بقوله : " انه قبل ظهور الملكية العبرانية بألف سنة كان الحكماء الاجتماعيون المصريون القدماء قد رفعوا أصواتهم مطالبين بالعدالة الاجتماعية أملين بذلك الوصول الى عصر يكون فيه المثل الأعلى للسعادة البشرية فى ظل حكم عادل يهيمن عليه ملك رءوف ، ولذلك نددوا بالغش والظلم اللذين يرزح تحت عبئهما كل من الفقير والوضع على يد الغنى والقوى ، وكثيرا ما اعلنت شكوى هؤلاء الحكماء ".(١)

ولعل فيما سبق خير دليل على أن يهود مصر - والفترة التى عاشوها على أرضها قبل هجرة الغالبية العظمى منهم بصرف النظر عن أسباب هذا الخروج - لم يكونوا بمعزل عن التأثير المصرى فيهم ، ولم يكونوا بعيدين عما كان يقوم فى المجتمع المصرى القديم من تقاليد ونظم سياسية كانت أم اجتماعية أو دينية وفكرية وان الذين نزحوا من مصر قد حملوا فى أذهانهم وعقولهم هذه النظم والتقاليد وعندما كتب لهم الاستقرار حاولوا تطبيقها أو السير على منوالها ، وان ما استجد لديهم من نظم وفكر دينى أو أدبى على ضآلته بالنسبة للآداب الاخرى قد تأثر أيضا بما ساد مصر ووصلهم منها اما عن طريق مباشر نتيجة احتكاكهم بمصر والمصريين أو عن طريق الفينيقيين كما يذكر بعض الباحثين كما يدل أيضا على أن لمصر شأن عظيم فى تاريخ اليهود القديم اذ كثر ورود لفظ مصر فى أسفار العهد القديم حتى لايكاد يخلو سفر من هذه الأسفار تقريبا دون أن تذكر فيه مصر حتى بلغ عدد المرات التى ذكرت فيها مصر مايقرب من ستمائة وثمانين مرة .(٢)

---

١) برستد : نفس المرجع ص ٣٨٧.
ولعل ذلك يتفق مع ماورد فى العهد القديم من ذهاب شعب اسرائيل الى صموئيل الرائى مطالبين اياه بالعمل على تعيين ملك عليهم بعد أن عم الفساد فى نهاية عصر القضاه ، وقد حاول صموئيل أن يثنيهم عن هذه الفكرة قائلا لهم بأن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها الا أنهم صمموا على رأيهم لأنهم بلا شك كانوا ينشدون ملكا عادلا تماما كما سبق أن طالب الحكماء المصريون القدماء بذلك (انظر صموئيل الاول والثانى)..

٢) א.אבן שושן ,קונקורדנציה חדשה לתנ"ך, כרך שני , ערך "מצרים" ,הוצאת קרית-ספר בע"מ ,ירושלים , 1981.

الفتح العربى الى العصر الحديث :

اذا نستطيع أن نجزم بتواجد أعداد من اليهود فى مصر قبيل الفتح العربى الاسلامى لها ، وان كانت المصادر التاريخية لاتهتم كثيرا بذكرهم بقدر ما اهتمت بذكر أقباط مصر وموقفهم من دخول جيش المسلمين بقيادة عمرو بن العاص ، وماكان من سابق اضطهاد البيزنطيين لهؤلاء الاقباط حتى انهم اعتبروا جيش المسلمين محررا لهم من هذا الاضطهاد وساعدوه سواء فى دخول الفسطاط أو فى تقدمه نحو الاسكندرية وأقاموا له الجسور التى تعينه فى مسيرته [١] مما كان له أثره لدى المسلمين فأمن عمرو بن العاص قبط مصر وأعاد الفارين منهم من حكم البيزنطيين وأمنهم على حياتهم ومعتقداتهم انطلاقا من اعتبار المسيحيين أهل كتاب لم يشأ الاسلام أن ينبذهم داخل المحيط الاسلامى بل على العكس من ذلك دعى الى التعامل معهم والتعايش الى جوارهم فأحل طعامهم للمسلمين . كما أحل طعام المسلمين لهم معلنا ذلك فى قوله تعالى : " وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ، وطعامكم حل لهم" [٢] وان كل ما أوثر عن النبى صلى الله عليه وسلم من أعمال وأقوال توصى بحسن معاملة أهل الكتاب طالما لايبدأون بعدوان أو تطاول على دين الله والمؤمنين به . أما مايتعلق باليهود وكيانهم الاجتماعى أو السياسى فى هذه الحقبة التى سبقت الفتح أو بعده بقليل فانه يبدو غامضا ربما قلتهم فى مصر ، وربما لأنهم كانوا يعانوا ماكان يعانيه أقباط مصر من ظلم البيزنطيين واضطهادهم . وعلى أية حال فان معظم المصادر تشير الى أن تاريخهم فى تلك الفترة لم يكن واضحا وان اقدم ماوصل من مصادر عنهم يرجع الى عام ٧٥٠ ميلادية [٣] أى عقب سقوط الدولة الأموية فى مصر .

---

١) أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالحكم : فتوح مصر وأخبارها ص ٥٨ ومابعدها نشرة ليدن ١٩٣٠ .

٢) سورة المائدة . آية ٥ .

٣) J.Mann: The Jews in Egypt and Palestine under the Fatimid Caliphs. V.I. p.13, Oxford 1920.

ومهما كان من غموض تاريخ اليهود عند دخول العرب المسلمين اليها فان الثابت تاريخيا انه بعد الفتح رحب سكان مصر جميعا بالاسلام والمسلمين ترحيبا عظيما ساعد على انتشار الاسلام الذى دخل فيه جمع هائل من المسيحيين وغيرهم من الفئات والطوائف التى وجدت فى ذلك الوقت ، وعامل المسلمون هؤلاء معاملة طيبة ، وعاشوا جميعا فى ظل الخلافة الاسلامية لايجدون تفرقة . ولا اهانة اللهم الا فى بعض الفترات التى كانت تعم فيها الفوضى البلاد ، ولم يكن يقصد بها طائفة معينة الا فى حالات نادرة ، وسرعان ماتزول هذه الخلافات وتعود الأمور الى سيرتها الأولى . وهكذا عاش اليهود والنصارى مع المسلمين منذ بداية الفتح ودعاهم المسلمون للاسلام فمن هداه الله منهم للاسلام فقد أفاء الله عليه نعمته ، ومن آثر أن يظل على دينه دفع الجزية وعصمنفسه وماله وعرضه . فقد ساوى الاسلام بينه وبين المسلمين فى المعاملة وأباح الزواج من الكتابية :" والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم "[1] وان اختلفت الشيعة وأهل السنة فى ذلك حيث يجيز أهل السنة الزواج من الكتابية سواء كانت نصرانية أو يهودية استنادا الى الأية السابقة .

ولعل ماتجده بين صفحات العديد من المصادر التاريخية المتعددة التى أرخت للاسلام والمسلمين فى أمصاره المختلفة وأشارت الى الاقليات التى لم تدخل الى الاسلام ، والتى عرفت فى تاريخه باسم " أهل الذمة " . أو " أهل الكتاب " كما جاء فى القرآن الكريم ، وعرف ذلك للمسلمين فأفسحوا لهم المجال ، ولم يكن هناك اكراه فى الدين والعقيدة تنفيذا لقوله تعالى فى كتابه : " لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى " .[2] وانما كانت هناك فقط الحقوق اللازمة على أهل الذمة [3] نحو الاسلام والمسلمين

---

١) سورة المائدة : ٥ .

٢) سورة البقرة : ٢٥٦ .

٣) الزمام والمذمة : الحق والحرمة . والجمع أذمة . والذمة : العهد والكفالة . وجمعها ذمام .. والذمام والذمامة : الحرمة .. ومن ذلك ==

كأن يدفعوا الجزية [١] الواجبة عليهم . وقد ثبت أن الرسول عليه السلام كان يوصى بهم خيرا ، ويجوز معاملتهم فى كافة أمور الحياة من بيع وشراء بل ومشاركتهم أيضا فى التجارة . وهذا نجد أن مصادر التشريع الاسلامى كلها - القرآن والسنة النبوية والاجماع - تقف دائما فى صف أهل الذمة يهودا كانوا أم نصارى وقد أثبت المؤرخون للدولة الاسلامية منذ نشأتها أن القائمين على هذه الدولة كانوا يضمنون لكل ديانة من الديانات كيانها الخاص ، فلا يجوز لصاحب دين أن يغير ديانته ، وانما كان تغيير الدين لايكون الا دخولا فى الاسلام فقط ولايستثنى الا فترات الاضطرابات السياسية التى قد تأتى فى أى عصر من العصور .

== يسمى أهل العهد أهل الذمة . وهم الذين يؤدون الجزية من المشركين كلهم . ورجل ذمى معناه : رجل له عهد .. وقال أبو عبيدة الذمة الأمان وسمى أهل الذمة ذمة لدخولهم فى عهد المسلمين وأمانهم. وفى حديث النبى صلى الله عليه وسلم : المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم . قال أبو عبيدة الذمة الأمان ههنا .. فالذمة هى الأمان ولهذا سمى المعاهد ذميا لأنه أعطى الأمان على ذمة الجزية التى تؤخذ منه .
انظر : لسان العرب لابن منظور . اعداد وتصنيف يوسف خياط . دارلسان العرب بيروت .

١) فيما يتعلق بالجزية ومقدارها الواجب دفعه لم يكن هناك خلاف كبير عليها بين الفقهاء فى صدر الدولة الاسلامية . منهم من قدرها بدراهم معدودة وجب دفعها مثل الامام أبى حنيفة وابن حنبل ، ومنهم من تركها لتقدير الامام ومنهم من وضع الحد الادنى لها وهو دينار واحد . وقد وضعت أحكام أيضا لمن تجب عليه الجزيه من أهل الذمه وأعفى منها الصبى ، والمرأة ، ومن لايقدر على الخروج للقتال لعجز أو شيخوخة وكذلك من لايستطيع الدفع لفقره وان كانت هناك بعض الآراء الفقهية التى تجيز تأجيل تحصيلها عنه حتى يصبح قادرا .
فقد كانت الجزيه أشبه بضريبة للدفاع عن الوطن فكان لايدفعها الا الرجل القادر على حمل السلاح ولايدفعها ذوو العاهات ، ولا المترهبون وأهل الصوامع الا اذا كان لهم يسار .
ولمزيد من التفاصيل فى أحكام الجزية انظر :
أ - ابن قيم الجوزية . أحكام أهل الذمة جـ ١ ص ٢ . نشره د. صبحى الصالح دمشق / ٦١ .
ب - آدم ميتز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى أو عصر النهضة فى الاسلام : جـ ١ ص ٦٠ ترجمة محمد عبدالهادى أبوريده . لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الثانية ١٩٤٧م. ===

وكما يتضح من استقراء المصادر التاريخية المتعددة فانه يبدو أن يهود مصر بعد الفتح العربى وفى عصر الخلفاء الراشدين وبنى أمية لم يكن لهم نشاط ملحوظ فى مصر ، الأمر الذى جعل معظم المؤرخين لايتحدثون عنهم كثيرا ، ولم يبدأ نشاطهم تقريبا الا فى الفترة التى كانت فيها مصر احدى الولايات التابعة للدولة العباسية التى كان لليهود فى عاصمتها بغداد نشاط ملحوظ الأمر الذى يجعلنا نقرر بأن يهود مصر فى هذه الفترة لاشك كانوا تابعين من الناحية الدينية والعقائدية ليهود العراق ونظمهم الدينية ومافيها من مدارس دينية متعددة والى جانب مركز العراق الدينى ومايحتمل أن يكون يهود مصر قد ارتبطوا به فاننا نعلم أيضا أن هناك مركز دينى آخر فى فلسطين . وهنا يمكن احتمال أن يكون بعض اليهود الموجودين فى مصر تابعا - دينيا - ليهود العراق والبعض الآخر تابعا ليهود فلسطين ويؤيد هذا الاحتمال ماذكره أحد الرحالة (١) اليهود فى العصر الوسيط عن وجود طوائف يهودية فى مصر يطلق عليها " اليهود العراقيون " . وهم الذين يتبعون النظم الدينية ليهود العراق ، ووجود طوائف أخرى يطلق عليها " اليهود الشاميون " . وهم الذين يتبعون النظم الدينية ليهود فلسطين. ونعتقد أن تلك المسميات التى أشار اليها هذا الرحالة لم تكن متداولة على الصعيد الرسمى للدولة ، وانما كانت معروفة فى نطاق المجتمع اليهودى الداخلى ، وان موقف الطائفتين بالنسبة

== القلقشندى : صبح الاعشى فى صناعة الانشاء جـ ١٣ ص ٣٥٦-٣٥٧ .

١) رغم أن المصادر التاريخية لم تتحدث تفصيلا عن يهود مصر قبل الفتح الاسلامى ،وفى الفترة التى تلت هذا الفتح الا أننا نجد البعض يذكرصراحة اعداد هؤلاء اليهود فى مصر قبل الفتح وبعده خاصة فى مدينة الاسكندرية فقد ورد أن عددهم فيها عند دخول عمرو بن العاص اليها أربعون الفا يدفعون الجزية ، بينما كان عددهم قبل الفتح حوالى سبعين الفا . الأمر الذى يجعلنا نقول أنه عندما استسلمت الاسكندرية لجيوش المسلمين وتم فتحها دخل فى الاسلام مايقرب من الثلاثين ألف يهودى طواعية . ومن بقى منهم على دينه دفع الجزية .

انظر : ١- ابن العبرى . تاريخ مختصر الدول . ص ١٠٣ (هامش).
٢- ترتون (أ . س) : أهل الذمة فى الاسلام . ترجمة حسن حبشى.
٣- J. Mann: The Jews V.I. P. 13.

للدولة موقف موحد . وعلى أية حال سواء كان اليهود فى مصر يتبعون مدارس العراق أو فلسطين فمن المعروف أنه كان فى مصر طائفة يهودية دينية اهتم بها ولاة المسلمين ورعوها حق الرعاية وسمحوا لليهود بحرية العقيدة ومارسوا حياتهم الاجتماعية مما يدل دلالة لاشك فيها على أنهم اعتبروا جزءا لايتجزأ من الكيان المصرى القائم ويؤثرون طبقا للأحوال والظروف فى مجريات الأحداث وقد غير هذا التأثير الى الكيان الاجتماعى القائم بعاداته وتقاليده الا أنه مع ذلك لم يكن له تأثير كبير بل العكس من ذلك فقد تأثر اليهود كثيرا بالعرب والمسلمين وعاداتهم وتقاليدهم حتى انهم قد استخدموا العربية الى جانب العبرية أيضا فى معاملاتهم اليومية ، ولم تعد العبرية تقريبا تستخدم الافيما يتعلق بالتراث الدينى والعقائدى لليهود ، وفى ممارساتهم لطقوس العبادة اليهودية . وفيما يتعلق بعلاقة اليهود بالجهاز الادارى بالدولة فقد تولى اليهود العديد من المناصب الادارية فى مصر حتى ان مؤرخى اليهود أنفسهم يذكرون أنه فى عهد الخليفة الأموى " عمر بن عبدالعزيز " قامت محاولة لاحلال الموظفين المسلمين محل اليهود والنصارى فى أجهزة الدولة الادارية.[١] وحدث نفس الشئ فى عهد الخليفة المتوكل العباسى ويبدو أن أمرهم قد استفحل فى هذه الدواوين الأمر الذى اضطر فيه الخليفة الى أن يصدر مرسوما بابعاد اليهود عن الوظائف الادارية فى الدوله ، وبفرض قيود اخرى عليهم . وعلى أى حال فما يهمنا هو أن الوجود اليهودى فى مصر فى تلكالفترة كان قائما ، ومتمتعا بكل امتيازات أهل الكتاب [٢] واستمر الى أن قامت الدولة الطولونية حيث

---

١) J. Mann: The Jews in Egypt and Palestine under Fatimid Caliphs. V.I. P. 17.

٢) وقد أشارت بعض المصادر التى أرخت لهذه الفترة الى بعض الشخصيات اليهودية التى ظهرت وكان لها نشاطها سواء فى المجال الاجتماعى أو الفكرى . ومن هؤلاء اليهود الذين يذكرهم التاريخ فى مصر فى القرن التاسع الميلادى عالم يهودى اشتهر فى مجالات الطب واللغة والفلسفة وهو اسحق بن سليمان الاسرائيلى الذى هاجر الى القيروان واستقر بها وكتب هناك بعض رسائل فى الطب والفلك وغيرها من العلوم .

انظر:د. الفت محمد جلال : الأدب العبرى القديم والوسيط ص ١٢٦ مطبعة جامعة عين شمس سنة ١٩٧٨ .

شاركوا أيضا فيها ومارسوا حياتهم العادية دون ضغوط أو تأثير حتى أنهم استخدموا فى بلاط الامراء والسلاطين ومن سيرة أحمد بن طولون نعلم أنه قد عين فى بلاطه عددا من الأطباء اليهود.[١] أما فى عهد الدولة الاخشيدية ، فنظرا لأنها لم تعمر كثيرا فان علاقة اليهود بها لم تظهر بعد اللهم الا فيما تقلده بعض اليهود والنصارى من وظائف ادارية ، وان كان اليهودى يعقوب ابن كلس قد تمكن من أن يحوز ثقة كافور الاخشيد ولم يتردد فى اعتناق الاسلام طمعا فى توليه الوزارة[٢]. غير أن الظروف لم تمهله اذ يبدو أن الوزير جعفر بن الفرات قد فطن الى ذلك فقبض عليه وأودع فى السجن غير أنه هرب . ليعود مرة أخرى مع جيش المعز لدين الله الفاطمى على ماسيأتى ذكره. ويبدو أن اليهود رغم معاشرتهم للمجتمع الاسلامى الذى يمتاز بالحث على الامانة والاخلاق الطيبة والبعد عن الخيانة لم يتأثروا كثيرا بهذه المبادئ السامية وظل منهم من تغلبت عليه الصفات اليهودية الذميمة كنقض العهد والغدر اذا مكنته الظروف من ذلك فقد أورد ابن تغرى بردى رواية فحواها أنه عند دخول الفاطميين الى مصر خشيت زوجة الاخشيد على أموالها وجواهرها فأودعت كل ذلك عند تاجر يهودى ، وعندما طالبته بها بعد ذلك أنكرها الا أنها شكته الى المعز لدين الله الذى أعاد اليها ما أودعته لدى هذا اليهودى .

---

١) ابن أبى اصيبعة : عيون الانباء فى طبقات الأطباء ص ٤٥٠ . نشره دكتور نزار رضا . بيروت ١٩٦٥ .
وقد أشارت مصادر عدة الى ذلك منها على سبيل المثال السيوطى فى حسن المحاضرة . الجزء الاول ص ٢٧١ .

٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٤ ص ١٧٢ . د. الفت جلال : المصدر السابق .

كما يبدو أن الاوضاع اليهودية فى ظل الدولة الفاطمية كانت أفضل العهود السابقة ، ونرجح أن ذلك ربما يعود الى ماكان من معاونة يعقوب بن كلس الذى فر هاربا من سجن أبى جعفر بن الفرات وكان فى طريقه الى المغرب الا أنه صادف خروج المعز لدين الله الفاطمى على رأس جيش يقصد مصر فكان عونا له ومرشدا لسابق عهده بالبلاد وأهلها وحجب الجيوش ، وكوفىء على ذلك بأن قرب الى البلاط فى عهد المعز . وفى عهد خلفه العزيز تقلد الوزارة وتذكر المصادر اليهودية نفسها أنه مع مجىء الدولة الفاطمية فى مصر بدأ عصر ذهبى لجميع الطوائف اليهودية [1] فقد ترك معظمهم الاعمال التجارية والحرفية التى كانوا

---

١) من الواضح أن اليهود حتى دخول جيش المعز لدين الله الفاطمى الى مصر كانوا ينتظمون فى هيكل دينى وتنظيمى واحد ولم يكونوا مقسمين الى طوائف دينية متعددة على ما سنرى بعد ذلك اذ انقسموا الى ثلاث طوائف هم : الربانيون — القراءون — السامريون الا أن هذا التقسيم كان تقسيما دينيا فقط ، وطبقا للمعتقدات الدينية لكل فرقة من الفرق يدل على ذلك ان رئاسة اليهود فى هذه الفترة كانت لواحد فقط ربما كان يختار من الفرقة ذات العدد الاكبر (الربانيون) وكان يطلق عليه " الناجيد " والناجيد " لفظة عبرية تعنى حاكم — والى ورئيس كما وردت فى العهد القديم فى ملوك أول واشعيا ، واستخدمت فى العصر الوسيط كلقب لرئيس اليهود فى المنفى وبخاصة فى أسبانيا وتركيا بينما كان يطلق لقب رأس الجالوت أو رئيس المنفى على رئيس اليهود فى العراق وفلسطين . وفيما يتعلق بلقب الناجيد كرئيس لليهود فى مصر خاصة فقد حدث خلاف بين الباحثين حول هذه التسمية اذ منهم من يرى أن هذا اللقب استحدث فى مصر مع الفتح الفاطمى ومنهم من يرى أنه قد ظهر بعد الخلافة الفاطمية . ونحن نميل الى الرأى الاول نظرا لأن هذا اللقب كان مستخدما فى الاندلس وشمال افريقيا وأسبانيا وان المعز وجيشه قد خرجا من هذه المنطقة ولابد ان كان لديهم علم مسبق به وهذا الناجيد هو المسئول أمام البلاط فيما يتعلق بأمور اليهود وتنظيماتهم وموقفهم من أمور الدولة والمجتمع وحول هذا الموضوع انظر :

١) אברהם אבן שושן ,ערך נגיד.

٢) القلقشندى : صبح الأعشى ج ١١ ص ٣٨٥–٣٨٨ .

٣) د. حسن ظاظا : الشخصية الاسرائيلية . مجلة عالم الفكر . المجلد العاشر . يناير سنة ١٩٨٠ .

يقومون بها قبل ذلك وبدأوا يعملون فى البلاط الفاطمى[١]، كما أقيم معبد للبهود نتيجة لوفود أعداد كبيرة من اليهود العراقيين الذين كانت مدارسهم الدينية ذات سمعة عالية. وعلى الرغم من أن اليهود كانوا كما تذكر المصادر منقسمون داخليا الى طوائف ثلاثة وأن طائفة السامريين كانت تعتبر أقلهم عددا وأثروا وفاعلية الا أنها كانت تمتاز بأن لها ثرواتها الخاصة بها ، كما أنها تتميز أيضا بأن لها تقاليدها الدينية رغم ذلك كله فان المعاملة التى عومل بها اليهود لم تكن لتفرق بين طائفة وأخرى ، وان الرئاسة المعقودة لليهود كانت لواحد فقط وعليه تمثيل كافة الطوائف اليهود المختلفة الموجودة داخل الدولة الفاطمية . وقد بلغ تسامح الخلفاء الفاطميين واكرامهم لليهود ذروته فى عهد العزيز الذى ملأ دواوين الدولة بعدد كبير من الكتبة اليهود وبصفة خاصة بعد أن تولى يعقوب بن كلس منصب الوزارة . كما عين أحدهم وهو منشا بن ابراهيم اليهودى واليا على الشام.ولم يكن الخلفاء يتعصبون لطائفة معينة أو لعقيدة دينية تعصبا أعمى ، وانما كانوا يرون أن فى استعانتهم بالاكفاء من أصحاب الديانات الاخرى أمر لاتشوبه شائبه ، ولذلك فقد استعان بعضهم باليهود أو النصارى فى انجاز الاعمال أو ترتيب الأمور سياسية كانت أم فكرية ولعلنا لانبالغ اذ نقول ان تلك كانت سمة عامة فى المسلمين فى الأمصار التى يفتحونها بل وفى حواضر الخلافة نفسها رأينا ذلك مع الدولة العباسية وعرفنا الذين شاركوا فى نقل كنوز الفكر اليونانى الى العربية وكيف ازدهرت دار الحكمة ببغداد بالعديد من الترجمات فى مختلف فروع الثقافة والعلوم.ويبلغ من تقدير الخلفاء لهؤلاء المترجمين ان كانوا يكافئونهم بمقدار وزن الكتاب المترجم ذهبا ولهذا فان استخدام الفاطميين لليهود والنصارى لم يكن عملا فريداً من نوعه .

أما فيما يتعلق بتلك المنزلة الكبيرة التى تمتع بها يعقوب بن كلس

---

١) יוסף אלגמיל, תולדות היהודית הקראית, כרך ראשון, ע"ע 133-134, המלה, 1979.

وقد أعطى مؤلف تاريخ اليهودية فكرة واضحة من محتويات ديوان موسى درعى حيث ذكر أن لغة الكتاب الاصلية هى العبرية الا أن الشاعر قد كتب بعض القصائد والمقالات باللغة العربية اذ كان ملما بها مثل العبرية تماما حتى انه كتب مقدمة الجزئين الاول والثانى بلغة عربية سليمة غير أن ماكتب باللغة العربية كتبه الشاعر بحروف عبرية .(1)

اليهود فى العصر الأيوبى :

يعد أفول نجم الفاطميين فى مصر وقيام الدولة الايوبية (١١٧١-١٢٥٠) يلاحظ أن وضع اليهود فى مصر وعلاقتهم بالدولة والمجتمع لم يتغير كثيرا عما كانوا عليه من قبل ، كما أن حكام المسلمين فى هذه الدولة لم يغيروا من مواقفهم تجاه أهل الذمة بصفة عامة أذ اعتبر هؤلاء الحكام انهم مسئولون مسئولية دينية وسياسية تجاه هؤلاء الرعايا الذميين أولا لأنهم ذميون يدفعون الجزية وثانيا لانهم رعايا الدولة وهى مسئولة عنهم ولذا نجد البعض منهم يقربون بعض اليهود ويستخدمونهم فى دواوين الحكومة والمصالح . ولقد ضرب

---

١) يلاحظ أن الكتابة بالعربية بحروف عبرية كانت سمة واضحة فى كتابات العصر الوسيط اليهودية . ولعل ذلك الاسلوب الذى انتهجه كتاب اليهود فى ذلك العصر يرجع الى أمرين :
الاول : طغيان اللسان العربى على اللسان العبرى حتى أفقده توازنه فلم يعد قادرا على مواكبة العصر وذلك طبقا لقانون الصراع اللغوى فبدأ اللسان العبرى ينحصر فى أضيق الحدود ولم يبق منه فى الاستخدام سوى أبجديته ولم يشأ اليهود أن يفقدوا الابجدية كما فقدوا استخدام اللغة فسجلوا مؤلفاتهم بالعربية بما بقى لهم من العبرية التى كانت تشكل عندهم منزلة سامية مقدسة .
الثانى : أنهم لم يريدوا اطلاع المسلمين على انتاجهم وفكرهم ولهذا لجأوا الى الكتابة بالحروف العبرية حتى لايتمكن غير الملم بها من قراءة مايكتبون مما يعطيهم حرية أكثر فيما يريدون أن يسجلوه من فكر سليم أو متطرف .

صلاح الدين الأيوبى أروع المثل فى التسامح مع أهل الذمة ، ولعل تاريخه أثناء الحروب الصليبية خير دليل على ذلك ، وان كان بعض المؤرخين لم ينصفوه فى هذه الناحية وزعموا أنه أصدر أوامره بالتفرقة بين اليهود والمسلمين على الصورة التى كانت عليها فى زمن الخليفة المتوكل فى القرن الثالث الهجرى ، وفى عهد الحاكم بأمر الله الفاطمى ، واذا كان صلاح الدين الأيوبى قد أصدر مثل هذه الأوامر[1] الا أنه قد تراجع بعد ذلك عن تنفيذها عندما شعر وتبين له أنه سيخلق من تنفيذ هذه الأوامر توترا وعصبية لاتتناسب مع مكانته كحاكم مسلم متسامح . وقد يكون استناد مثل هؤلاء المؤرخين فيما ادعوه على صلاح الدين يرجع الى ماذكره المقريزى وابن أبى اصيبعة وكذلك ابن خلكان فى مؤلفاتهم التاريخية الا أن الواقع الفعلى الذى اتضح فيما بعد أنهم لم يتفهموا كل ماكتبه هؤلاء الكتاب عن هذه الفترة خاصة ماكتب عن تلك الحادثة الفردية التى ذكرت عن موقف أبى البركات محمد بن موفق الخبوشانى الشافعى من اليهود وان صلاح الدين قدساند الخبوشانى فى هذا الموقف . ولو أن هؤلاء قد تفهموا ماكتب جيدا ما أصدروامثل هذا الحكم على صلاح الدين ، فقد ساند صلاح الدين نفسه اليهود ، وتسامح معهم ومنحهم كافةحقوقهم التى شرعها الاسلام وحث عليها . وهؤلاء يعلمون جيدا ان موسى بن ميمون [2] فيلسوف اليهود فى العصر الوسيط واكبر مشرعيهم وهو الاندلس المولود والنشأة عندما فر هاربا من الأندلس ووصل الى مصر وجد فيها الرعاية والأمن والسلام ، وفتح له بلاط صلاح الدين بعد ذلك وأصبح من أقرب الأطباء اليه دائما .

هذا بالنسبة لواحد من اليهود قربه صلاح الدين ، أما بالنسبة لليهود فى مصر بصفة عامة فان خير شاهد على حسن رعاية الأيوبيين لهم ماكتبه اليهود أنفسهم

---

١) Ashtor: Saladin and The Jews. Hehrew Union College Annual. V. XXVII. Jerusalem 1956.

٢) اسرائيل ولفنسون : موسى بن ميمون حياته ومصنفاته . لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٦ . وموسى بن ميمون ولد فى قرطبه فى النصف الأول من القرن الثانى عشر ولهذا يلقب عند العرب بأبى عمران موسى بن ميمون القرطبى . وقد نزح الى مصر هروبا من الأندلس واستقر هنا وأقام اقامة دائمة وانتج فى مصر أعظم مؤلفاته فى التفسير والشريعة والفلسفة .

عن تلك الفترة ، فقد عثر ضمن أوراق الجنيزة فى القاهرة على رسالة من أحد التجار اليهود يشيد فيها بمقدار ماكان يعيش فيه يهود مصر من تسامح فى ظل حكم صلاح الدين الأيوبى الذى أصدر أوامره بتخفيف الضرائب على تجار اليهود. ومن الروايات التى تروى عن يهود هذا العصر أن أحدهم ويسمى أبو المعالى عزئيل وهو زوج اخت موسى بن ميمون قد ألحق فى الوظائف الادارية بالدولة وتدرج فيها ونال ثقة أهل الحكم والبلاط فعين كاتب سر لاحدى زوجات صلاح الدين وقد ذكر أشتور فيما كتبه عن صلاح الدين واليهود فى مؤلفه الذى نشر فى القدس عام ١٩٥٦ ذلك كله.

ومع مايبدو من ظاهر تلك الرواية من أن حكام المسلمين قد ذهبوا فى تسامحهم وسماحتهم الى أقصى الحدود فى معاملتهم لأهل الذمة يهودا كانوا أم نصارى ،وكيف أنهم وصلوا الى حد السماح لمثل هؤلاء بالدخول الى حرماتهم والاطلاع على أسرارهم ، الا أن هذه القصة يبدو فيها عنصر المبالغة الى أقصى الحدود ، فلا نعتقد أبدا أن يسمح حاكم مسلم لرجل غريب عن أهله بالدخول عليهم والاطلاع على أسرارهم بهذه البساطة ناهيك عن أنه رجل يخالفه الدين والعقيدة ، ولاشك أن الكاتب أراد أن يضيف الى اتهاماته العديدة الى وجهها الى صلاح الدين فى مؤلفه هذا اتهاما جديدا أشد وقعا وهو تفريطه فى تقاليد دينه وشرعه بعدم الحفاظ على حرماته واعراضه.

فاذا تجاوزنا مثل تلك الاتهامات المغرضة فى حق بطل من أبطال الاسلام والعروبة ، محرر القدس وهازم الصليبيين وأردنا التعرف على ماكان عليه يهود مصر فى ذلك الوقت فاننا نعلم جيدا أن الأوضاع الفكرية والثقافية لمجتمع ما تعطى مؤشرا واضحا عن الوضع السائد كله ، فاذا نظرنا فى انتاج يهود هذه الفترة الدينى والفكرى ممثل فى واحد من أشهر المفكرين اليهود فى العصر الوسيط وهو موسى بن ميمون القرطبى ، وذلك الفيلسوف الذى أثرى المكتبة اليهودية بالعديد من المؤلفات فى الفقه والتشريع والفلسفة ، وفى تفسيره لبعض أجزاء من العهد القديم والتلمود وتقنينه لما جاء فى الشريعة اليهودية بما يتمشى مع مقتضيات

العصر الذى يعيشه . نقول اذا نظرنا الى هذا الكم من الانتاج فى مجالات متعددة وفى ظروف معيشته فى ظل حضارة الاسلام وتسامح المسلمين نجد أنه قد أبدع وأخرج تراثا مازالت اليهودية تفخر به الى الآن ويحق لها أن تفخر بمثل هذه العقلية لقد اعتبر المؤرخون ابن ميمون فيلسوفا عقلانيا الى جانب كونه طبيبا فلكيا . وان الفلسفة اليهودية لم تتبوأ مكانتها الرفيعة الا منذ ظهور أبى عمران موسى بن ميمون .(١) وان ماتضمنته مؤلفاته من شروح وتفاسير سواء كانت لأسفار العهد القديم أو لبعض فصول من التلمود انما كانت تدور فى فلك الفلسفة(٢) التى تأثر فيها بالفكر العربى ومذاهبه الأصيله ، ولقد حاول فى هذه المؤلفات كلها وخاصة فى تفسيره للعهد القديم وقوانينه أن يربط تلك القوانين بجوهر العقيدة اليهودية وأسس الايمان.(٣) ومن أهم مؤلفات موسى بن ميمون كتابه المسمى بالسراج وهو تفسير للمشنا لم ينهج فيه ابن ميمون المناهج التقليدية(٣) السابقة فى التفسير وانما هو موسوعة تعطى القارئ تاريخا للمشنا ورواتها ونظمها وكيف بدأت وتطورت ومن هم حكماء المشنا غير أن هذا الكتاب نظرا لما يغلب عليه من فكر فلسفى لم يكتب له النجاح رغم أنه مكتوب باللغة العربية لأن العقلية اليهودية لم يكن من السهل عليها تقبل مثل هذه الفلسفة . وفى هذا الكتاب كما يقول الباحثون وضع ابن ميمون أصول العقيدة اليهودية كما تصورها الاصول الثلاثة عشر التى كان يطلق عليها قواعد الايمان ، وهو بهذا قد وصل الى المستوى الفكرى الموازى للنتائج علم التوحيد وعلوم الكلام عن أئمة المسلمين(٤) فهو فى القاعدة الأولى من هذه القواعد يقول : "أنا أومن ايمانا كاملا بأن الخالق تبارك اسمه هو الموجود المدبر لكل المخلوقات وهو وحده الصانع لكل شئ فيما مضى وفى الوقت الحالى وفيما سيأتى " فالخالق عنده قد خلعت عليه ربوبية فلسفية لاتكتفى فيما تكتفى به القصص البسيط المنتشر فى سفر التكوين ومن مؤلفاته أيضا " دلالة الحائرين " وهو فى هذا الكتاب كان فيلسوفا مفسرا وقد كتبه بالعربية أيضا بحروف عبرية على عادة يهود العصر الوسط وكان منهجه فيه الجمع بين الأمور الدينية الظاهرة والفلسفية الخافية فى آن واحد وهكذا ربما يعطى فكر ابن ميمون صورة لما كانت عليه العقلية اليهودية فى العصر الأيوبى

---

١) دى لاس أوليرى : الفكر العربى ومركزه فى التاريخ . ترجمة اسماعيل البيطار ص ٢٤٤ دار الكتاب اللبنانى . بيروت ١٩٧٢ .

٢) لمزيد من المعرفة عن مؤلفات موسى بن ميمون فى المجالات الدينية والعلمية انظر:
ا- موسى بن ميمون لاسرائيل ولفنسون.
٢ - אוצר ישראל, חלק ם, ע"ז ١٢٢

٣) حول مناهج التفسير اليهودية انظر : الاثر الاسلامى فى الفكر الدينى اليهودى. د. عبدالرازق قنديل

٤) د. حسن ظاظا : الفكر الدينى اليهودى . اطواره ومذاهبه ص ١٥٧/١٦٠ معهد البحوث والدراسات العربية

ولم يكن اليهود يتركزون فى القاهرة وحدها وهى العاصمة الأولى فى العصر الاسلامى منذ بناها جوهر الصقلى للمعز لدين الله الفاطمى، وانما كانوا منتشرين حتى قبل بناء القاهرة فى عواصم ومدن مصر فقد علمنا من قبل أنهم كانوا يعيشون فى الفسطاط (أو مصر القديمة) كما يطلق عليها أحيانا ، وكانت لهم معابدهم طبقا لمعتقدات كل فرقة منهم ومازالت الى اليوم آثار من هذه المعابد كذلك وجد جمهور غفير فى الاسكندرية من الربانيين والقرائين والسامرة وقد رأينا كيف نزل موسى درعى القرائى الاسكندرية فى طريقه الى العاصمة الأولى التى عرف أن بها مجموعة كبيرة من القرائين . كما أن بنيامين التطيلى الذى زار مصر فى عهد صلاح الدين قد تحدث عن يهود مصر و معيشهم وما ينالونه من رعاية من الدولة سواء فى النواحى الدينية التى لم يكن من حرج عليها أو النواحى الاقتصادية والتجارية والمالية فقد كانت لهم حرية التجارة واعمال الصرافة وغيرها ، ويقدر التطيلى عدد اليهود فى مصر فى تلك الفترة بما يقرب من عشرين ألف يهودى موزعين على مناطق عديدة فيها فى القرى والمدن ولعل يهود بلبيس والفسطاط والقاهرة والاسكندرية كانوا أكثر يهود مصر عددا .

ومن كتابات الرحالة والمؤرخين الذين تحدثوا عن العصر الأيوبى وما ساد المجتمع فيه بصفة عامة نخلص الى أن اليهود قد مارسوا نشاطهم دون قيد أو شرط كما مارسوا طقوس عباداتهم ومعتقداتهم دون رقيب عليهم وانه كان لهم معبدان أحدهما يسمى " معبد أوكنيس الشاميين " وقد خص لليهود الذين يتبعون النظم الفلسطينية من النواحى الدينية والشرعية والاخرى تسمى كنيس العراقيين وهم الذين يتبعون نظم جاءونى العراق وقد شرح التطيلى ذلك تفصيلا فى رحلاته . وقد حرص اليهود أن ينتشروا لا فى المدن والموانى فقط وانما تغلغلوا ولو بأعداد قليلة داخل الريف المصرى ومارسوا فيه دورهم المعروف فى مجال التجاره والسمسرة . وتوضح لنا أوراق الجنيزة التى نشرت حتى الآن الوضع الاجتماعى لليهود فى مصر ومنها يفهم أن يهود الاقاليم البعيدة عن العواصم الكبرى بصفة خاصة كانوا فى جهل واضح فكريا ودينيا وانهم

افتقروا الى الزعامة الدينية والروحية وان كان هذا قد بدأ يتضاءل بعد ذلك.

وبصفة عامة فان العصر الأيوبى كان عصر هدوء وراحة ونشاط لأهل الذمة وان تخلل ذلك بعض الحوادث التى حدثت فى بداية حكم صلاح الدين فبدأ بفرض القيود التى لم تستمر طويلا كما يحدثنا المقريزى فى خططه ان الصالح نجم الدين أيوب قد هدم كنيسة للبعاقبة وأدخلها ضمن القلعة التى شيدها لنفسه وفيما عدا ذلك فقد تمتع اليهود والنصارى فى ظل دولة الأيوبيين بعصر اشتد فيه عودهم ونالوا حظوه لدى الحكام واصبح منهم من تقلد اعلى المناصب فى البلاط الأيوبى .

وعاش اليهود وسط تلك الأحداث وكان يهود البلاد الأجنبية المختلفة يمرون بهم ذهابا وايابا فى رحلاتهم الى بيت القدس ويحدثنا التاريخ عن وصول " يهودا اللاوى " الشاعر الأندلسى المعروف الى مصر زائرا ومكث مع اليهود فيها فترة من الزمن حيث استقبلوه بحفاوة بالغة عند وصوله ، ولقد أعجب اللاوى بمصر ونيلها وطبيعتها وانشد فيها شعرا رقيقا . كما يحدثنا بنيامين النطيلى عن الجالية اليهودية فى مصر فى كتابه " الرحلات " الذى يعتبر صورة صادقة شبه متكاملة عن يهود البلدان التى مر بها فى رحلاته ، وتجدر الاشارة هنا الى أن بنيامين النطيلى فى هذه الرحلات قد اقتفى أثر المسلمين ورحالتهم فى وضع هذا الكتاب فقد سبقه كل من المسعودى وابن خرداذبة .

اليهود فى ظل حكم المماليك (١٢٥٠-١٥١٧م)

ورث المماليك الدولة الايوبية ، وهؤلاء المماليك كانوا خليطا من أجناس متعددة دخلوا المجتمع الاسلامى اعتبارا من القرن الثانى الهجرى ويعتبر الخليفة المأمون العباسى أول من بدأ ادخال هذه الفئة فى هذا المجتمع،

هذا الخليط الكبير من الأجناس هو ما آل اليه حكم مصر خلفا للدولة الأيوبية واستمر يدير شئون البلاد فترة تقدر بقرنين واكثر من الزمان . كانت أحوال البلاد فيها بلا شك متقلبة غير ثابتة على حال واحد . ومن سيرة هؤلاء المماليك ومما كتبه المؤرخون عنهم نستطيع أن نحدد الملامح العامة التى تسيدت وسيطرت على فترة الحكم فى عهد المماليك . هذه الملامح تظهر لنا أن حكم المماليك وعلاقتهم برعاياهم مسلمين وغير مسلمين كانت تقوم أساسا على اظهارهم بأنهم يعملون طبقا لما تأمر به الشريعة الاسلامية ، والتزامهم العدالة تجاه غير المسلمين تمسكا بما حث عليه الدين. ومن هذا المنطلق بدأ التقرب تجاه أهل الذمة وافساح الفرص لهم واسباغ القاب التمجيد والاحترام عليهم وهذا كله من منطلق احترام الدولة فى موقفها الرسمى تجاه هؤلاء الرعايا من الذميين كما يفهم مما كتبه المؤرخ الكبير تقى الدين المقريزى وغيره من مؤرخى تلك الفترة . ولكن هل يفهم من هذا أن سياسة المماليك تجاه أهل الذمة كانت واحدة لم تتغير ؟ .

ان الأخبار التى تناثرت بين ثنايا كتب التاريخ تؤكد لنا أن المماليك رغم أنهم كانوا يحاولون التودد للمسلمين ولأهل الذمة الا أنهم مع ذلك كانوا أحيانا ينقلبون عليهم وعلى سبيل المثال فقد ذكر المقريزى ان سياسة الظاهر بيبرس لم تكن طيبة تجاه المصريين مسلمين وذميين ، فهو باستمرار فى حاجة الى المال الذى يسد به نهم جيشه ومن هنا أثقل كاهل الناس بالضرائب . وفى عهد السلطان الناصر محمد (١٢٩٣-١٣٤٠م) نجد أن سياسة الدولة تجاه أهل الذمة متذبذبه فهى طورا معتدلة وطورا متجنية عليهم الى حد ما . ومع ذلك نجد بعض الفترات التى كان يبدو فيها حرص الدولة على تأمين العلاقة بين اليهود وأهل الذمة مسيحيين ويهود ويبدو ذلك من كثرة ألقاب الاحترام التى كان يسبغها حكام البلاد على هؤلاء اليهود الأمر الذى يؤكد فى النهاية مدى حرص الدولة واحترامها لجوار أهل الذمة .

وقد سبق أن قلنا أن طوائف اليهود الثلاثة كان يمثلهم رئيس واحد فقط وهو المسئول مسئولية كامله عن أحوال اليهود بطوائفه الثلاث غير أننا نجد من بين وثائق الجنيزه المنشورة ، ومما ذكره بعض الباحثين بأن السامرة كانت لهم فى هذا العصر فرقة مستقلة بنفسها ولها رئيسها الذى يمثلها [1] وان السلطان كان يستدعيه كلما دعى الأمر الى ذلك . واذا كانت أوراق الجنيزه تعد من الوثائق الهامة التى تلقى الضوء على وضع اليهود فى مصر سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ، فان ماتركه الرحالة اليهود بصفة خاصة من مدونات تعتبر هى الاخرى احدى هذه الوثائق الهامة ، فالرحالة شاهد عيان على العصر الذى يعيشه وما يتركه يعطى بلا شك صورة أقرب الى الواقع الفعلى اذ أنه يسجل بصدق الى حد كبير مايسود المجتمعات . ومن هؤلاء الرحالة " عوبديا برحى دى برتينورو " [2] الذى قام برحلة طويلة فى الفترة مابين ١٤٨٧-١٤٩٠ م أى فى النصف الثانى من القرن الخامس عشر واثناء هذه الرحلة كتب لوالده خطابا بتاريخ ١٨ أيلول سنة ١٤٨٨ يتضح منه أن طوائف اليهود الثلاث فى مصر كانت مستقلة تماما عن بعضها ولكل طائفة رئيسها الذى ينظم مع حكام البلاد العلاقة بين الدولة وبين الطائفة على ماسيتضح من الخطاب الذى يعتبر تأكيدا لما ذهب اليه بعض الباحثين من استقلال الطوائف . وقد عثر على الخطاب ونشر ضمن مقتطفات من الأدب العبرى [3] وهو موقع منه . والخطاب وصف كامل لرحلته منذ غادر نابلولى فى طريقه للقيام برحلة بحرية يتعرف فيها على يهود البلاد المختلفة برافقه تسعة من اليهود . ويفهم من هذا الخطاب أنه موجه الى والده يعتذر له فيه أنه قد تركه وهو فى هذه السن المتقدمة ثم يأخذ فى وصف عادات وتقاليد الطوائف اليهودية فى الأماكن التى يمر بها . والخطاب وصف دقيق لتلك

---

١) ترتون : أهل الذمة . ص ١٠٢ .

٢) عويد يا برحى دى برتينورو : حاخام ايطالى كتب شروحا على المشنا يعرف فى الأوساط الدينية اليهودية باسم " البرتينورو " . ويعتبر هذا الكتاب من أهم كتب التفسير الدينى اليهودى . وقد قام برحلته هذه على مايبدو فى نهاية القرن الخامس عشر . ويعد هذا الخطاب الذى نشر فى لندن سنة ١٨٧٢ آخر ماكتبه عوبديا .

٣) Leo W. Schwarz; The Jewish Caravan PP. 234-254. Farrar and Rinehart. New York. 1935.

وقد أعطى مؤلف تاريخ اليهودية فكرة واضحة من محتويات ديوان موسى درعى حيث ذكر أن لغة الكتاب الاصلية هى العبرية الا أن الشاعر قد كتب بعض القصائد والمقالات باللغة العربية اذ كان ملما بها مثل العبرية تماما حتى انه كتب مقدمة الجزئين الاول والثانى بلغة عربية سليمة غير أن ماكتب باللغة العربية كتبه الشاعر بحروف عبرية .(١)

اليهود فى العصر الأيوبى :

بعد أفول نجم الفاطميين فى مصر وقيام الدولة الايوبية (١١٧١-١٢٥٠) يلاحظ أن وضع اليهود فى مصر وعلاقتهم بالدولة والمجتمع لم يتغير كثيرا عما كانوا عليه من قبل ، كما أن حكام المسلمين فى هذه الدولة لم يغيروا من مواقفهم تجاه أهل الذمة بصفة عامة أذ اعتبر هؤلاء الحكام انهم مسئولون مسئولية دينية وسياسية تجاه هؤلاء الرعايا الذميين أولا لأنهم ذميون يدفعون الجزية وثانيا لانهم رعايا الدولة وهى مسئولة عنهم ولذا نجد البعض منهم يقربون بعض اليهود ويستخدمونهم فى دواوين الحكومة والمصالح . ولقد ضرب

---

١) يلاحظ أن الكتابة بالعربية بحروف عبرية كانت سمة واضحة فى كتابات العصر الوسيط اليهودية . ولعل ذلك الاسلوب الذى انتهجه كتاب اليهود فى ذلك العصر يرجع الى أمرين :
الاول : طغيان اللسان العربى على اللسان العبرى حتى أفقده توازنه فلم يعد قادرا على مواكبة العصر وذلك طبقا لقانون الصراع اللغوى فبدأ اللسان العبرى ينحصر فى أضيق الحدود ولم يبق منه فى الاستخدام سوى أبجديته ولم يشأ اليهود أن يفقدوا الابجدية كما فقدوا استخدام اللغة فسجلوا مؤلفاتهم بالعربية بما بقى لهم من العبرية التى كانت تشكل عندهم منزلة سامية مقدسة .
الثانى : أنهم لم يريدوا اطلاع المسلمين على انتاجهم وفكرهم ولهذا لجأوا الى الكتابة بالحروف العبرية حتى لايتمكن غير الملم بها من قراءة مايكتبون مما يعطيهم حرية أكثر فيما يريدون أن يسجلوه من فكر سليم أو متطرف .

صلاح الدين الأيوبى أروع المثل فى التسامح مع أهل الذمة ، ولعل تاريخه أثناء الحروب الصليبية خير دليل على ذلك ، وان كان بعض المؤرخين لم ينصفوه فى هذه الناحية وزعموا أنه أصدر أوامره بالتفرقة بين اليهود والمسلمين على الصورة التى كانت عليها فى زمن الخليفة المتوكل فى القرن الثالث الهجرى ، وفى عهد الحاكم بأمر الله الفاطمى ، واذا كان صلاح الدين الأيوبى قد أصدر مثل هذه الأوامر[1] الا أنه قد تراجع بعد ذلك عن تنفيذها عندما شعر وتبين له أنه سيخلق من تنفيذ هذه الأوامر توترا وعصبية لاتتناسب مع مكانته كحاكم مسلم متسامح . وقد يكون استناد مثل هؤلاء المؤرخين فيما ادعوه على صلاح الدين يرجع الى ماذكره المقريزى وابن أبى اصيبعة وكذلك ابن خلكان فى مؤلفاتهم التاريخية الا أن الواقع الفعلى الذى اتضح فيما بعد أنهم لم يتفهموا كل ماكتبه هؤلاء الكتاب عن هذه الفترة خاصة ماكتب عن تلك الحادثة الفردية التى ذكرت عن موقف أبى البركات محمد بن موفق الخبوشانى الشافعى من اليهود وان صلاح الدين قدساند الخبوشانى فى هذا الموقف . ولو أن هؤلاء قد تفهموا ماكتب جيدا ما أصدروامثل هذا الحكم على صلاح الدين ، فقد ساند صلاح الدين نفسه اليهود ، وتسامح معهم ومنحهم كافةحقوقهم التى شرعها الاسلام وحث عليها . وهؤلاء يعلمون جيدا ان موسى بن ميمون [2] فيلسوف اليهود فى العصر الوسيط واكبر مشرعيهم وهو الاندلس المولود والنشأة عندما فر هاربا من الأندلس ووصل الى مصر وجد فيها الرعاية والأمن والسلام ، وفتح له بلاط صلاح الدين بعد ذلك وأصبح من أقرب الأطباء اليه دائما .

هذا بالنسبة لواحد من اليهود قربه صلاح الدين ، أما بالنسبة لليهود فى مصر بصفة عامة فان خير شاهد على حسن رعاية الأيوبيين لهم ماكتبه اليهود أنفسهم

---

1) Ashtor: Saladin and The Jews. Hehrew Union College Annual. V. XXVII. Jerusalem 1956.

٢) اسرائيل ولفنسون : موسى بن ميمون حياته ومصنفاته . لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٦ . وموسى بن ميمون ولد فى قرطبه فى النصف الأول من القرن الثانى عشر ولهذا يلقب عند العرب بأبى عمران موسى بن ميمون القرطبى . وقد نزح الى مصر هروبا من الأندلس واستقر هنا وأقام اقامة دائمة وانتج فى مصر أعظم مؤلفاته فى التفسير والشريعة والفلسفة .

عن تلكالفترة ، فقد عثر ضمن أوراق الجنيزة فى القاهرة على رسالة من أحد التجار اليهود يشيد فيها بمقدار ماكان يعيش فيه يهود مصر من تسامح فى ظل حكم صلاح الدين الأيوبى الذى أصدر أوامره بتخفيف الضرائب على تجار اليهود. ومن الروايات التى تروى عن يهود هذا العصر أن أحدهم ويسمى أبو المعالى عزئيل وهو زوج اخت موسى بن ميمون قد ألحق فى الوظائف الادارية بالدولة وتدرج فيها ونال ثقة أهل الحكم والبلاط فعين كاتب سر لاحدى زوجات صلاح الدين وقد ذكر أشتور فيما كتبه عن صلاح الدين واليهود فى موءلفه الذى نشر فى القدس عام ١٩٥٦ ذلك كله.

ومع مايبدو من ظاهر تلك الرواية من أن حكام المسلمين قد ذهبوا فى تسامحهم وسماحتهم الى أقصى الحدود فى معاملتهم لأهل الذمة يهودا كانوا أم نصارى ،وكيف أنهم وصلوا الى حد السماح لمثل هوءلاء بالدخولالى حرماتهم والاطلاع على أسرارهم ، الا أن هذه القصة يبدو فيها عنصر المبالغة الى أقصى الحدود ، فلا نعتقد أبدا أن يسمح حاكم مسلم لرجل غريب عن أهله بالدخول عليهم والاطلاع على أسرارهم بهذه البساطة ناهيك عن أنه رجل يخالفه الدين والعقيدة ، ولاشك أن الكاتب أراد أن يضيف الى اتهاماته العديدة الى وجهها الى صلاح الدين فى موءلفه هذا اتهاما جديدا أشد وقعا وهو تفريطه فى تقاليد دينهوشرعه بعدم الحفاظ على حرماته واعراضه.

فاذا تجاوزنا مثل تلكالاتهامات المغرضة فى حق بطل من أبطال الاسلام والعروبة ، محرر القدس وهازم الصليبيين وأردنا التعرف على ماكان عليه يهود مصر فى ذلك الوقت فاننا نعلم جيدا أن الأوضاع الفكريةوالثقافية لمجتمع ما تعطى موءشرا واضحا عن الوضع السائد كله ، فاذا نظرنا فى انتاج يهود هذه الفترة الدينى والفكرى ممثل فى واحد من أشهر المفكرين اليهود فىالعصر الوسيط وهو موسى بن ميمون القرطبى ، وذلكالفيلسوف الذى أثرى المكتبة اليهودية بالعديد من الموءلفات فىالفقه والتشريع والفلسفة ، وفىتفسيره لبعض أجزاء من العهد القديم والتلمود وتقنينه لما جاء فى الشريعة اليهودية بما يتمشى مع مقتضيات

العصر الذى يعيشه . نقول اذا نظرنا الى هذا الكم من الانتاج فى مجالات متعددة وفى ظروف معيشته فى ظل حضارة الاسلام وتسامح المسلمين نجد انه قد أبدع وأخرج تراثا مازالت اليهودية تفخر به الى الآن ويحق لها أن تفخر بمثل هذه العقلية لقد اعتبر المؤرخون ابن ميمون فيلسوفا عقلانيا الى جانب كونه طبيبا فلكيا . وان الفلسفة اليهودية لم تتبوأ مكانتها الرفيعة الا منذ ظهور أبى عمران موسى بن ميمون .[١] وان ماتضمنته مؤلفاته من شروح وتفاسير سواء كانت لأسفار العهد القديم أو لبعض فصول من التلمود انما كانت تدور فى فلك الفلسفة[٢] التى تأثر فيها بالفكر العربى ومذاهبه الأصيله ، ولقد حاول فى هذه المؤلفات كلها وخاصة فى تفسيره للعهد القديم وقوانينه أن يربط تلك القوانين بجوهر العقيدة اليهودية وأسس الايمان.[٣] ومن أهم مؤلفات موسى بن ميمون كتابه المسمى بالسراج وهو تفسير للمشنا لم ينهج فيه ابن ميمون المناهج التقليدية[٣] السابقة فى التفسير وانما هو موسوعة تعطى القارئ تاريخا للمشنا ورواتها ونظمها وكيف بدأت وتطورت ومن هم حكماء المشنا غير أن هذا الكتاب نظرا لما يغلب عليه من فكر فلسفى لم يكتب له النجاح رغم أنه مكتوب باللغة العربية لأن العقلية اليهودية لم يكن من السهل عليها تقبل مثل هذه الفلسفة . وفى هذا الكتاب كما يقول الباحثون وضع ابن ميمون أصول العقيدة اليهودية كما تصورها الاصول الثلاثة عشر التى كان يطلق عليها قواعد الايمان ، وهو بهذا قد وصل الى المستوى الفكرى الموازى للنتائج علم التوحيد وعلوم الكلام عن أئمة المسلمين[٤] فهو فى القاعدة الأولى من هذه القواعد يقول : "أنا أومن ايمانا كاملا بأن الخالق تبارك اسمه هو الموجود المدبر لكل المخلوقات وهو وحده الصانع لكل شئ فيما مضى وفى الوقت الحالى وفيما سيأتى " فالخالق عنده قد خلعت عليه ربوبية فلسفية لاتكتفى فيما تكتفى به القصص البسيط المنتشر فى سفر التكوين ومن مؤلفاته أيضا " دلالة الحائرين " وهو فى هذا الكتاب كان فيلسوفا مفسرا وقد كتبه بالعربية أيضا بحروف عبرية على عادة يهود العصر الوسط وكان منهجه فيه الجمع بين الأمور الدينية الظاهرة والفلسفية الخافية فى آن واحد وهكذا ربما يعطى فكر ابن ميمون صورة لما كانت عليه العقلية اليهودية فى العصر الأيوبى

---

١) دى لاس أولبرى : الفكر العربى ومركزه فى التاريخ . ترجمة اسماعيل البيطار ص ٢٤٤ دار الكتاب اللبنانى . بيروت ١٩٧٢ .

٢) لمزيد من المعرفة عن مؤلفات موسى بن ميمون فى المجالات الدينية والعلمية انظر:
أ- موسى بن ميمون لاسرائيل ولفنسون.
ب - אוצר ישראל, חלק ט, ע"ז.١٢٢

٣) حول مناهج التفسير اليهودية انظر : الأثر الاسلامى فى الفكر الدينى اليهودى. د. عبدالرازق قنديل

٤) د. حسن ظاظا : الفكر الدينى اليهودى . اطواره ومذاهبه ص ١٥٧/١٦٠ معهد البحوث والدراسات العربية .

ولم يكن اليهود يتركزون فى القاهرة وحدها وهى العاصمة الأولى فى العصر الاسلامى منذ بناها جوهر الصقلى للمعز لدين الله الفاطمى، وانما كانوا منتشرين حتى قبل بناء القاهرة فى عواصم ومدن مصر فقد علمنا من قبل أنهم كانوا يعيشون فى الفسطاط (أو مصر القديمة) كما يطلق عليها أحيانا ، وكانت لهم معابدهم طبقا لمعتقدات كل فرقة منهم ومازالت الى اليوم آثار من هذه المعابد كذلك وجد جمهور غفير فى الاسكندرية من الربانيين والقرائين والسامرة وقد رأينا كيف نزل موسى درعى القرائى الاسكندرية فى طريقه الى العاصمة الأولى التى عرف أن بها مجموعة كبيرة من القرائين . كما أن بنيامين التطيلى الذى زار مصر فى عهد صلاح الدين قد تحدث عن يهود مصر و معيشهم ومايناله من رعاية من الدولة سواء فى النواحى الدينية التى لم يكن من حرج عليها أو النواحى الاقتصادية والتجارية والمالية فقد كانت لهم حرية التجارة واعمال الصرافة وغيرها ، ويقدر التطيلى عدد اليهود فى مصر فى تلك الفترة بما يقرب من عشرين ألف يهودى موزعين على مناطق عديدة فيها فى القرى والمدن ولعل يهود بلبيس والفسطاط والقاهرة والاسكندرية كانوا أكثر يهود مصر عددا .

ومن كتابات الرحالة والمؤرخين الذين تحدثوا عن العصر الأيوبى وماساد المجتمع فيه بصفة عامة نخلص الى أن اليهود قد مارسوا نشاطهم دون قيد أو شرط كما مارسوا طقوس عباداتهم ومعتقداتهم دون رقيب عليهم وانه كان لهم معبدان أحدهما يسمى " معبد أوكنيس الشاميين " وقد خصص لليهود الذين يتبعون النظم الفلسطينية من النواحى الدينية والشرعية والاخرى تسمى كنيس العراقيين وهم الذين يتبعون نظم جاءونى العراق وقد شرح التطيلى ذلك تفصيلا فى رحلاته . وقد حرص اليهود أن ينتشروا لا فى المدن والموانى فقط وانما تغلغلوا ولو بأعداد قليلة داخل الريف المصرى ومارسوا فيه دورهم المعروف فى مجال التجاره والسمسرة . وتوضح لنا أوراق الجنيزة التى نشرت حتى الآن الوضع الاجتماعى لليهود فى مصر ومنها يفهم أن يهود الاقاليم البعيدة عن العواصم الكبرى بصفة خاصة كانوا فى جهل واضح فكريا ودينيا وانهم

افتقروا الى الزعامة الدينية والروحية وان كان هذا قد بدأ يتضاءل بعد ذلك.

وبصفة عامة فان العصر الأيوبى كان عصر هدوء وراحة ونشاط لأهل الذمة وان تخلل ذلك بعض الحوادث التى حدثت فى بداية حكم صلاح الدين فبدأ بفرض القيود التى لم تستمر طويلا كما يحدثنا المقريزى فى خططه ان الصالح نجم الدين أيوب قد هدم كنيسة للبعاقبة وأدخلها ضمن القلعة التى شيدها لنفسه وفيما عدا ذلك فقد تمتع اليهود والنصارى فى ظل دولة الأيوبيين بعصر اشتد فيه عودهم ونالوا حظوه لدى الحكام واصبح منهم من تقلد اعلى المناصب فى البلاط الأيوبى .

وعاش اليهود وسط تلك الأحداث وكان يهود البلاد الأجنبية المختلفة يمرون بهم ذهابا وايابا فى رحلاتهم الى بيت القدس ويحدثنا التاريخ عن وصول " يهودا اللاوى " الشاعر الأندلسى المعروف الى مصر زائرا ومكث مع اليهود فيها فترة من الزمن حيث استقبلوه بحفاوة بالغة عند وصوله ، ولقد أعجب اللاوى بمصر ونيلها وطبيعتها وانشد فيها شعرا رقيقا . كما يحدثنا بنيامين النطيلى عن الجالية اليهودية فى مصر فى كتابه " الرحلات " الذى يعتبر صورة صادقة شبه متكاملة عن يهود البلدان التى مر بها فى رحلاته ، وتجدر الاشارة هنا الى أن بنيامين النطيلى فى هذه الرحلات قد اقتفى أثر المسلمين ورحالتهم فى وضع هذا الكتاب فقد سبقه كل من المسعودى وابن خرداذبة .

اليهود فى ظل حكم المماليك (١٢٥٠-١٥١٧م)

ورث المماليك الدولة الايوبية ، وهؤلاء المماليك كانوا خليطا من أجناس متعددة دخلوا المجتمع الاسلامى اعتبارا من القرن الثانى الهجرى ويعتبر الخليفة المأمون العباسى أول من بدأ ادخال هذه الفئة فى هذا المجتمع،

هذا الخليط الكبير من الأجناس هو ما آل اليه حكم مصر خلفا للدولة الأيوبية واستمر يدير شئون البلاد فترة تقدر بقرنين واكثر من الزمان . كانت أحوال البلاد فيها بلا شك متقلبة غير ثابتة على حال واحد . ومن سيرة هؤلاء المماليك ومما كتبه المؤرخون عنهم نستطيع أن نحدد الملامح العامة التى تسيدت وسيطرت على فترة الحكم فى عهد المماليك . هذه الملامح تظهر لنا أن حكم المماليك وعلاقتهم برعاياهم مسلمين وغير مسلمين كانت تقوم أساسا على اظهارهم بأنهم يعملون طبقا لما تأمر به الشريعة الاسلامية ، والتزامهم العدالة تجاه غير المسلمين تمسكا بما حث عليه الدين. ومن هذا المنطلق بدأ التقرب تجاه أهل الذمة وافساح الفرص لهم واسباغ القاب التمجيد والاحترام عليهم وهذا كله من منطلق احترام الدولة فى موقفها الرسمى تجاه هؤلاء الرعايا من الذميين كما يفهم مما كتبه المؤرخ الكبير تقى الدين المقريزى وغيره من مؤرخى تلك الفترة . ولكن هل يفهم من هذا أن سياسة المماليك تجاه أهل الذمة كانت واحدة لم تتغير ؟ .

ان الأخبار التى تناثرت بين ثنايا كتب التاريخ تؤكد لنا أن المماليك رغم أنهم كانوا يحاولون التودد للمسلمين ولأهل الذمة الا أنهم مع ذلك كانوا أحيانا ينقلبون عليهم وعلى سبيل المثال فقد ذكر المقريزى ان سياسة الظاهر بيبرس لم تكن طيبة تجاه المصريين مسلمين وذميين ، فهو باستمرار فى حاجة الى المال الذى يسد به نهم جيشه ومن هنا أثقل كاهل الناس بالضرائب . وفى عهد السلطان الناصر محمد (١٢٩٣-١٣٤٠م) نجد أن سياسة الدولة تجاه أهل الذمة متذبذبه فهى طورا معتدلة وطورا متجنية عليهم الى حد ما . ومع ذلك نجد بعض الفترات التى كان يبدو فيها حرص الدولة على تأمين العلاقة بين اليهود وأهل الذمة مسيحيين ويهود ويبدو ذلك من كثرة ألقاب الاحترام التى كان يسبغها حكام البلاد على هؤلاء اليهود الأمر الذى يؤكد فى النهاية مدى حرص الدولة واحترامها لجوار أهل الذمة .

وقد سبق أن قلنا أن طوائف اليهود الثلاثة كان يمثلهم رئيس واحد فقط وهو المسئول مسئولية كامله عن أحوال اليهود بطوائفه الثلاث غير أننا نجد من بين وثائق الجنيزه المنشورة ، ومما ذكره بعض الباحثين بأن السامرة كانت لهم فى هذا العصر فرقة مستقلة بنفسها ولها رئيسها الذى يمثلها [١] وان السلطان كان يستدعيه كلما دعى الأمر الى ذلك . واذا كانت أوراق الجنيزه تعد من الوثائق الهامة التى تلقى الضوء على وضع اليهود فى مصر سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ، فان ماتركه الرحالة اليهود بصفة خاصة من مدونات تعتبر هى الاخرى احدى هذه الوثائق الهامة ، فالرحالة شاهد عيان على العصر الذى يعيشه وما يتركه يعطى بلا شك صورة أقرب الى الواقع الفعلى اذ أنه يسجل بصدق الى حد كبير مايسود المجتمعات . ومن هؤلاء الرحالة " عوبديا برحى دى برتينورو " [٢] الذى قام برحلة طويلة فى الفترة مابين ١٤٨٧-١٤٩٠ م أى فى النصف الثانى من القرن الخامس عشر واثناء هذه الرحلة كتب لوالده خطابا بتاريخ ١٨ أيلول سنة ١٤٨٨ يتضح منه أن طوائف اليهود الثلاث فى مصر كانت مستقلة تماما عن بعضها ولكل طائفة رئيسها الذى ينظم مع حكام البلاد العلاقة بين الدولة وبين الطائفة على ماسيتضح من الخطاب الذى يعتبر تأكيدا لما ذهب اليه بعض الباحثين من استقلال الطوائف . وقد عثر على الخطاب ونشر ضمن مقتطفات من الأدب العبرى [٣] وهو موقع منه . والخطاب وصف كامل لرحلته منذ غادر نابلولى فى طريقه للقيام برحلة بحرية يتعرف فيها على يهود البلاد المختلفة برافقه تسعة من اليهود . ويفهم من هذا الخطاب أنه موجه الى والده يعتذر له فيه أنه قد تركه وهو فى هذه السن المتقدمة ثم يأخذ فى وصف عادات وتقاليد الطوائف اليهودية فى الأماكن التى يمر بها . والخطاب وصف دقيق لتلك

---

١) ترتون : أهل الذمة . ص ١٠٢ .

٢) عوبديا برحى دى برتينورو : حاخام ايطالى كتب شروحا على المشنا يعرف فى الأوساط الدينية اليهودية باسم " البرتينورو " . ويعتبر هذا الكتاب من أهم كتب التفسير الدينى اليهودى . وقد قام برحلته هذه على مايبدو فى نهاية القرن الخامس عشر . ويعد هذا الخطاب الذى نشر فى لندن سنة ١٨٧٢ آخر ماكتبه عوبديا .

٣) Leo W. Schwarz; The Jewish Caravan PP. 234-254. Farrar and Rinehart. New York. 1935.

الرحلة التى استمرت على مايبدو أكثر من عامين. وعندما وصل الاسكندرية فى طريقه الى القدس استقبله حاخامها المسمى " موسى جراسو " وصحبه الى منزله وبعد أن استراحا قرأ معه فصولا من كتب التصوف " القبالا" ويعطى " عوبديا " وصفا لكيفية اعداد مائدة يوم السبت طبقا لما هو متبع من تقاليد يهودية فى الدول العربية فقد جلس عوبديا فى دائرة على الأرض مع الحاضرين ، يقف الى جوارهم الساقى(حامل الاكواب) . وامامه قطعه من القماش وضعت عليها مختلف أنواع الفاكهة المتوفرة فى ذلك الوقت ، ويتناول الضيف كوبا من النبيذ ويتلو عليه صلاة الشكر ثم يشرب الكأس ويعطيه الى الساقى ليملأ لشخص آخر من الحاضرين فيشربه ثم يرده للساقى ليعطيه لآخر حتى يشرب الجميع . بعد ذلك يتناول المضيف قطعتين أو ثلاثه من الفاكهة الموجودة ويأكل بعضا منها ثم يشرب كأسا ثانية بينما يقول له الحاضرون " بالصحة والعافية " . ويستمر هكذا الى أن يشرب مايقرب من ستة أو سبعة أكواب مع الفاكهة ويتبعه الموجودون ويفعلون مثله .

بعد ذلك ينتقل "عوبديا " ليصف لنا عادة أخرى من عادات اليهود التى كانت تتبع فى مصر وهى أنهم فى يوم الجمعة كانوا يذهبون الى الحمام ، وعند عودتهم تستقبلهم النساء بالنبيذ وبعد أن يشربوه يعلن عن أن العشاء معد ومجهز فيتناولونه قبل حلول المساء ثم يذهب الجميع الى المعبد وهم طاهرون وملابسهم نظيفة حيث يبدأون بالابتهالات الدينيةوشكر الله ، ثم تتلى بعد ذلك صلاة العشاء ، وبعد أن يفرغوا منها يعودون الى المنزل حيث يتناولون قطعة من الخبز مع الزيتون .

أما عن طوائف اليهود التى التقى بهم عوبديا فى مصر أو كتب عنهم فهو يذكر أنه كان فى الاسكندرية فى ذلكالوقت مايقرب من خمسة وعشرون عائلة يهودية ، ومعبدان عتيقان أحدهما كبير جدا . الا أنه كان مهدما الى حد ما . أما الآخر فقد كان أصغر منه حجما ، وكانت معظمالصلوات تقام فى المعبد الصغير وذلك لأنه كان يحمل اسم النبى ايليا . وكانت هناك قصة تقول ان هذا النبى كان أحيانا يظهر لشخص من الأشناص فى الركن الشمالى الشرقى حيث تظل النار موقده فيه .

وقد قيل لعوبديا انه منذ مايقرب من عشرين عاما ظهر ايليا لرجل عجـــــور، فيعلق " عوبديا " على ذلك بقوله : ان الله وحده يعلم الحقيقة ، وهو رد يوضح عدم اقتناع عوبديا بذلك . ويذكر عوبديا أيضا أنه فى جميع الدول العربيـــة لايدخل أحد من اليهود الى المعبد الا بعد أن يخلع نعليه ، وتلك بلا شـــــك قد أخذوها عـن المجتمعات الاسلامية ، اذ لايدخل المسلمون الى المساجد الا بعـد أن يخلعوا أحذيتهم ، ويعد أن يخلع اليهود الأحذية يتركونها خارج المعبـــد عند الباب ، وهذه الصورة نشاهدها الى اليوم فى ريفنا المصرى يوم صـــلاة الجمعة بصفة خاصة بعد هذا يجلس كل منهم على الأرض فوق حصير أو سجاد.

ويستمر عوبديا ليعطى وصفا دقيقا ليهود الاسكندرية وغيرها من المـــدن التى مر بها فى طريقه الى القاهرة ، ويقول ان القاهرة كان يعيش فيهـــا مايقرب من سبعمائة عائلة يهودية كان منها حوالى خمسون عائلة من الطائفـــة السامرية ، ومائة وخمسون عائلة من الطائفة القرائية ، والباقى من الربانيين ثم يذكر معلومات مفصلة عن معيشة كل من هذه الطوائف الثلاث ويقول ان كثيرا من السامريين فى مصر قد غادروها ليحتفلوا بعيد الفصح على جبل جرزيم حيث كان لهم معبد خاص بهم هناك طبقا لمعتقداتهمكما أن السامريين اليهود فى مصـــر كانوا أغنى الطبقات اليهودية الثلاث وكان منهم من يشغل العديد من المناصـب الهامة ، وان أحد هؤلاء السامريين كان يملك وحده حوالى مائتى ألف قطعـــة من الذهب . ويلى هؤلاء فى الغنى طبقـة القرائين . ويحدثنا عن بعض طبائـــع يهود الدول العربية بصفة عامة فيقول انهم دائما يحاولون أن يظهروا أنفسهـــم بمظهر الفقراء الذين يحتاجون دائما الى مد يد العون فى أى وقت ،وان القرائين يحاولون باستمرار التقرب الى الربانيين.[1] أما الطبقة الشديدة الفقر والحاجة فعلا فى مصر فى ذلك الوقت فكانت مجموعة اليهود الذين هاجروا من الاندلـــس

---

١) كتب بعض مؤرخى الفرق اليهودية أن القرائين لم يكونوا على خلاف ومنازعات مع الربانيين الى مابعد موت موسى بن ميمون بصرف النظر عن اختلافهم دينيا وعقائديا . أما بعد ذلك فقد ناصب كل منهم العداء للآخر . ويبدو أن كثرة عدد الربانيين وارتفاع شأنهم الاجتماعى هو الذى جعل القرائين على حد قول عوبديا يتقربون الى الربانيين .
انظر حول الخلاف بين القرائين والربانيين عقائديا وتاريخيا :
١- תולדות היהודית הקראית , ע" 133 — 136.
٢- د. محمد بحر عبدالمجيد : اليهودية . مكتبة سعيد رأفت.
٣- الفكر الدينى الاسرائيلى . فرقة القرائين .
٤- مراد فرج : القرائون والربانيون .

وعددهم كما يذكر عوبديا فى خطابه حوالى مائة وخمسون عائلة تعتبر من أفقر اليهود فى مصر .

وفيما يتعلق بالانشطة المتعددة التى كان يزاولها اليهود فى ذلك العصر وخاصة الاعمال التجارية فيقول عوبديا أن اليهود قد اعترفوا له بأن القاهرة كانت من أفضل المراكز التجارية بالنسبة لهم يزاولون فيها أنشطتهم التجارية من بيع وشراء ، كما كانت هناك بعض الحرف المهنية والتجارية تكاد أن تكون مغلقة على اليهود فقط وكما أكثر من ذلك فان هناك بعض عائلات يهودية هى التى كانت تتقن القيام بهذه الحرف وحدها دون سائر اليهود أو غيرهم ، ولايحاولون أن يخرجوها من أيديهم خاصة النشاط المصرفى والاعمال المالية .[1] ورغم أن الفسطاط والقاهرة والاسكندرية كانتا اكبر مراكز التجمع اليهودى غير أن هناك مدن أخرى استقرت فيها بعض العائلات اليهودية مثل بورسعيد والاسماعيلية ودمياط وغيرها . وفيما يتعلق بالنشاط الدينى لهؤلاء اليهود فكانت كل فرقة تزاول نشاطها الدينى طبقا لمعتقداتها وطقوسها وفى معابدها الخاصة وهناك القاب لرجال الدين منهم فالى جانب الناجيد الذى يرأس اليهود كان الحزان وهو الذى يتولى مهمة الاشراف على طقوس الصلاة . ويقوم بأعمال الوعظ والارشاد والخطابة كما كان يوجد الربان أو الحبر ومهمته قضائية بالدرجة الاولى حيث يفصل فى المنازعات بين الأفراد ، ويصدر الفتاوى الشرعية فى كافة الأمور ، ولم تكن هذه المهمة ذات راتب معين وانما يقوم بها تطوعا الى جانب عمله أو مهنته الا اذا لم يكن له عمل معين ففى هذه الحالة يمكن أن يخصص له أجر معين. وقد يفهم من ذلك كله أن الأمور الدينية كلها كانت بين اليهود أنفسهم تحت زعامة رئيسهم ، غير أن المؤرخين يذكرون أنه فى بعض الفترات ربما ينزع من رئيس اليهود بعض سلطانه ، فقد ذكر القلقشندى فى كتابه صبح الاعشى أنه كان من مهمة رئيس اليهود النظر فى المواريث المتعلقة بهم غير أنه قد

---

١) دكتور سعيد عاشور : المجتمع المصرى فى عصر المماليك ص ٤١ . القاهرة ١٩٦٢ .

حدث أن أصدر السلطان الناصر محمد بن قلاوون فى بداية القرن الرابع عشر الميلادى (٧٠٠هـ / ١٣٠١م) مرسوما انتزع منه هذا الحق . وان كان يبدو من مناسبة اصدار هذا المرسوم أنه صدر فى اعقاب حوادث شغب اجتاحت البلاد ربما كان لليهود اليد الطولى فيها كما أصدر السلطان الصالح صالح بن محمد بن قلاوون ٧٥٥هـ/١٣٥٦م ، مرسوما مشابها.[١] وكان لليهود أعيادهم الدينية التى يحتفل بها سنويا أو فى مناسباتها المعلومة لديهم غير أن الملاحظ أن المصادر العربية التى تحدثت عن أعياد اليهود فى مصر فى ذلكالوقت قد قسمت هذه الأعياد الى أعياد شرعية قديمة يتعارف عليها الجميع ، ثم أعياد مستحدثه تقام فى مناسبات معينة والاعياد الشرعية هى : رأس السنه العبريه [٢] وعيد الغفران [٣] يوم كبور . وعبدالمظلمه وعيد الفصح[٤] وعيد الأسابيع . أما الأعياد المستحدثه طبقا للنظره العربية

---

١) القلقشندى : صبح الاعشى . ج ١٣ وقد ورد فيه نص المرسوم الذى أصدره السلطان الصالح .

٢) رأس السنة : ويسمى بالعبرية ראש השנה : ويبدأ مع بداية شهر تشرى من كل عام . وهناك خلاف بينالفرق اليهودية حول مظهر الاحتفال بهذا العيد اذ ينفخ الربانيون فى البوق שופר عند صلاتهم أما القرا'ون فانهم يبتهلون الى الله ويحمدونه فى صلاتهم فقط .
انظر : د. حسن ظاظا : الفكر الدينى اليهودى .
مراد فرج : القرا'ون والربانيون ص ١٢٤-١٢٥ .

٣) يوم كبور أو يوم الغفران : ومدة الاحتفال بهذا العين تختلف الفرق حولها فيحرص الربانيون على الاحتفال به لمدة خمس وعشرين ساعة تبدأ من غروب يوم التاسع من تشرى الى مابعد غروب اليوم التالى بساعة ، غير أن القرائين لايزيدون تلك الساعة ويحتفلون فقط من الغروب للغروب ،ويتشدد السامره فى صوم هذا اليوم حتى الأطفال منهم.
انظر :
١- خطط المقريزى ج ٢ ص ٤٧٠-٤٧١.
٢- القرا'ون والربانيون .

٤) عيد الفصح فى الخامس عشر من شهر نيسان وأيامه سبعة لدى القرائن وثمانية عند الربانيين أما السامرة فستة أيام فقط . ولايو'كل فيه سوى الفطير والخمير غير المختمر ويذكر المقريزى أنه لايبدأ عند الربانيين يوم الاثنين أو أربعاء أو جمعه وهذا يرجع الى اختلاف التقويم بين فرقتى القرائين والربانيين منذ سعديا الفيومى وبن مائير فى القرن العاشر الميلادى .

فمنها البوريم ومدته يومان من الثالث عشر الى الخامس عشر من آذار ويذكر بعض الباحثين أن هذا العيد قد استمر الاحتفال به عند يهود مصر واتسم بالخلاعة ومظاهر الترف والمدح حتى ان بعض المصادر العربية اطلقت عليه " عيد المسخرة " .[1] ومنها ايضا عيد الحانوكة ومدته ثمانية أيام تبدأ يوم الخامس والعشرين من شهر كسليو .

ولم يكن اليهود فى العصر المملوكى بمعزل فى معيشهم وحياتهم العامة عن المجتمع المصرى عامة ، وانما كانوا دائمى الاحتكاك به سواء على الصعيد الرسمى عندما يستدعى " الناجيد" الى بلاط السلطان لأمر من الأمور أو يذهب بنفسه لعرض مطلب خاص بالجماعة كلها ، أو على الصعيد الشعبى باحتكاك اليهود بالمصريين فى معاملاتهم من بيع وشراء وغير ذلك. وقد أشار بعض المؤرخين الى أن هؤلاء اليهود كانوا كثيرا مايشاركون المصريين فى العديد من المناسبات فحين أعلن الظاهر بيبرس عن اعادة الخلافة العباسية فى القاهرة وخرج للقاء الخليفة العباسى نجد أن اليهود قد خرجوا أيضا ضمن الطوائف المصرية وهم يحملون التوراة فى أيديهم. كما ساهموا كذلك فى الاصلاحات العامة أو التجديدات المستمرة فى البلاد ، فقد ذكر المقريزى فى خططه الى أنهم قد ساهموا فى اعمال صيانة النهر مثل حفر الترع سواء برغبتهم أو رغما عنهم .

واذا كنا نذكر دائما أن اليهود قد تأثروا كثيرا بما كان عليه المسلمون من نظم وتقاليد وطبقوها على أنفسهم ، فاننا فى نفس الوقت نقول انه فى الجانب الآخر قد تأثر بعض المسلمين بما كان يعتقد بعض اليهود وعلى سبيل المثال فان المؤرخين يذكرون أن بعض النساء المسلمات أعتدن عدم شراء السمك أو أكله أو حتى ادخاله المنازل يوم السبت طبقا لما كان شائعا فى ذلك

---

١) د. حسن ظاظا : الفكر الدينى الاسرائيلى .أطواره ومذاهبه . سعيد رأفت القاهرة .

الوقت لدى اليهود . وكذلك أيضا عدم دخول الحمام أو غسل ثياب أو شراء الصابون وعلى هذا فالتأثير والتأثر متبادلان بين اليهود والمسلمين في هذا المجتمع الا أن التأثر اللغوى والفكرى لدى اليهود كان من الملامح الأساسية فى تاريخهم طوال العصر الوسيط سواء اعترفوا بذلك أم لم يعترفوا اذ يكفى الاطلاع على انتاجهم الفكرى واللغوى لمعرفة ذلك.

العصر الحديث :

ومع بزوغ فجر العصر الحديث ، وبداية ظهورالأفكار الصهيونية والدعوة الى التجمع الاسرائيلى ، ومع بداية اتجاه الاستعمار الاوروبى للسيطرة على الشرق اتجهت الأنظار أيضا الى يهود البلاد العربية فى محاولة لاستمالتهم بالوعود فى العودة الى فلسطين والعيش الى جوار الهيكل واستعادة مجد الآباء الذى سلب منهم كما فعل نابليون عندما جاء بحملته الى مصر . ومن الواضح أن اليهود كانوا يدركون ذلك جيدا ويعلمون أن نابليون يريد أن يتخذهم وسيلة لتحقيق أهدافه فى انشاء امبراطوريةله فى الشرق ، وتصرفوا معه من هذا المنطلق . وانتهت الحملة الفرنسية على مصر بالفشل ، واستقر الأمر لمحمد على وفى ظله عاش اليهود معيشة هادئة مطمئنة . وتمتعت كافة الطوائف اليهودية فى عهده بالرعاية .

كان فكر محمد على السياسى يقوم أساسا على ربط البلاد باوروبا فكرا وحضارة بحيث يغير الكثير من عاداتها وأوضاعها المختلفة عاملا على نهضتها وتقدمها ، ولن يتأتى ذلك الا اذا فتح المجال أمام الأوربيين لدخول البلاد والاحتكاك والعمل مع أهلها ، وفى نفس الوقت ارسال البعثات والوفود الى الخارج بقصد التثقف والتعلم ونقل العلمالاوروبى فى قطاعاته المتعددة الى مصر حتى يدفع بها فى النهاية الى الارتفاع والتقدم طبقا لأحدث النظم الحديثة التى كانت سائدة فى مختلف البلاد الاوروبية . وبصرف النظر عن الأهداف الحقيقية التى كان محمد على يهدف اليها من السيطرة على البلاد

والاستقلال بها عن سلطة الباب العالى ، كما يذكر المؤرخون لعصره ، فقد أدى ذلك الى وفود العديد من الأجانب الى مصر للمشاركة فى هذه النهضة المرتقبة وكان من هؤلاء الاجانب عدد كبير من اليهود انضموا الى أبناء دينهم ، ورغم ماكان يتمتع به اليهود من حرية فى هذا المجتمع الا أن هناك بعض الحوادث التى وقعت فى عهد محمد على سواء فى مصر أو أى من البلاد العربية الواقعة تحت سيطرته لعل أشهر تلك الحوادث حادة مقتل الأب " توما الشنوانى"، وخادمه فى دمشق[1] والتى أثبت التحقق فيها أن جماعة من اليهود قاموا بتنفيذ هذه الجريمة وكان ذلك مساء اليوم الخامس عشر من شهر فبراير سنة ١٨٤٠ حيث أخذوا دمه وأرسلوه الى الحاخام " يعقوب العنتابى" ثم تخلصوا من جثة الراهب المسيحى بتمزيقها والقائها فى المجارى . واعترف سبعة من المتهمين فى هذه الواقعة التى هزت الدوائر السياسية الفرنسية بالذات فى دمشق اذ كان الراهب من الذين ينتمون اليها ، وقال المتهمون أنه قبل الواقعة بأيام أخبرهم الحاخام بحاجته الى دم بشرى لاستعماله فى طقوس عيد الفصح القريب . وتعهدوا بتدبير هذا الدم وكان ضحية هذا المطلب هو الراهب المسيحى المذكور . وبعد محاكمة المتهمين صدر الحكم باعدام بعضهم وهنا قامت قائمة الطوائف اليهودية فى مختلف أنحاء العالم وتوالت اجتماعاتهم التى انتهت باختيار كل من : "موسى مونتفيورى"، و"ادولف كريميو" . ليتوسطا لليهود عند محمد على بوصفه واليا على الشام وقبل وساطتهما وعفا عن اليهود المتهمين فى هذه الجريمة مما ترتب عليه أحداث أخرى فى الأوساط السياسية وغيرها . ويبدو أن جرعة الحصول على دم بشرى كانت من الجرائم الشائعة بين اليهود فى مختلف البلاد لا فى دمشق وحدها ، بل حدثت فى بلاد أوروبية عديدة ، بل وحدثت أيضا

---

١) انظر كتاب " الكنز المرصود " حيث ضم قضية الأب توما الشنوانى كاملة ، وكيف تم القبض على المتهمين فيها ، واستجوابهم بمعرفة السلطات الرسمية ومحاولة انكارهم فى البداية ثم عادوا الى الاعتراف بتفاصيل الجريمة وكيف تمت ؟ وكيف قابل الرأى العام فى دمشق وغيرها هذا النبأ ؟ ثم كيف تحركت السلطات السياسية نحو هذا الحادث الهام كذلك ضم الكتاب حادثة طفله بورسعيد المختفية .

فى مصر اذ اختفت طفلة من مدينة بورسعيد ومن تحريات الشرطة عنها تبين أن اثنين من اليهود قد خطفاها وقاما بذبحها للحصول على دمها طبقا لطقوس عيد الفصح التى تتطلب من وجهة نظرهم ذلك . وهذه الجريمة بعد أن بدأت تظهر علانية حاول اليهود بكل ما اوتوا من قوة أن يدفعوها عنهم بل مايزالون الى اليوم يحاولون ذلك .

وعلى أى حال فانه فى أعقاب وفاة محمد على لم يتغير الوضع بالنسبة لأحوال اليهود كثيرا ولم يتخل خلفاؤه عن سياسته تجاه اليهود ، بل ساروا على نفس منهجه فى التسامح مع اليهود ، حتى فتحت أبواب مصر على مصراعيها للأجانب ومن بينهم اليهود تحت ستار بناء حضارة مصرية حديثة ، الأمر الذى أدى الى وفود جاليات يهودية من مختلف انحاء العالم حتى بلغ عدد يهود مصر حوالى ثمانين ألف نسمة [1] كان نحو ثلاثين ألف منهم يحملون جنسيات أجنبية وكان الكثيرون منهم يفضلون حمل هذه الجنسيات الأجنبية ، ويعلق الباحثون على أن سبب ذلك ربما يرجع الى ماكان يتمتع به الأجانب فى ذلك الوقت من امتيازات وتسهيلات فى الحقوق والقضايا لم تكن لتتاح لأصحاب البلاد الحقيقيين بالاضافة الى ماكان من تحررهم فى كثير من القضايا من السلطة المصرية [2] وقوانينها

---

١) سنرى بعد ذلك أن هؤلاء اليهود الذين وفدوا الى مصر ، واستقروا فيها كان لهم دور بارز فى اتخاذ مصر مركزا للحركة الصهيونية وتجنيد بعض اليهود المصريين وماصاحب ذلك من أحداث عظيمة وأساء الى يهود مصر الذين لم يتعودوا مثل هذا العمل .

٢) على ابراهيم عبده ، خيريه قاسمية : يهود البلاد العربية ص ١٦٢ منظمة التحرير الفلسطينية . بيروت ١٩٧١ .

التى قد تضر بهم. ولهذا كانوا يفضلون المحاكم المختلطة . وكانت الطوائف اليهودية الموجودة فى مصر تنحصر فى طائفتى الربانيين والقرائين اذ يبدو أن السامريين اما أن يكونوا قد انقرضوا من مصر بمرور الوقت ، وانتهت فيها كفرقة يهودية كان لها مكانتها وسط المجتمع اليهودى المصرى ، وأما أنها رحلت عن مصر لتعيش عن قرب فى منطقة جبل جرزيم حيث يقام هناك معبدهم طبقا لما يؤمنون من معتقدات ولذلك أصبح ذكرهم نادر بين طوائف اليهود فى مصر . أما عن الطبقتين الباقيتين من اليهود ونقصد بهما القرائين والربانيين فيقال أن القرائين كانوا أكثر يهود مصر ثراء وأقل عددا من الربانيين . وكانت مدينتا القاهرة والاسكندرية على وجه الخصوص من أكثر مدن مصر التى تضم عددا كبيرا من اليهود القرائين.

وبدأ يهود الطائفتين يهتمون بتربية النشء اليهودى طبقا لمقتضيات وضرورات العصر الحديث الذى يتطلب نوعيات تعليمية وتثقيفية معينة بما يتلائم مع سنة التطور ولذا يذكر بعض الباحثين أن اليهود قاموا بانشاء المدارس لأولادهم وبناتهم يعلمونهم فيها العلوم الحديثة واللغات ولم يهملوا التعليم الدينى التقليدى لهم فقد كانوا يعلمون المتقدمين من التلاميذ دراسة التلمود مرة كل أسبوع .[1] أما عن التقسيم الاجتماعى الطبقى لليهود فى مصر فى نهايات القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين فقد كان يتركز هذا التقسيم فى ثلاث طبقات اجتماعية الاولى هى الطبقة الممتازة الغنية والتى اشتهرت بما لهامن نفوذ فى المجتمع نظرا لعلاقتها الوطيدة بكبار رجال الدولة وساداتها فى مختلف المواقع والميادين ، وبرزت من هذه الطبقة شخصيات كثيرة لعبت دورا كبيرا فى الحياة المصرية بصفة عامة ، وحياة اليهود بصفة خاصة . وقد تأثر رجال هذه الطبقة بذلك الحدث الهام فى تاريخ اليهود والصهيونية وهو انعقاد مؤتمر بازل فى سويسرا عام ١٨٩٧م بزعامة

---

١) الياس الأيوبى : تاريخ مصر فى عهد الخديوى اسماعيل ص ٢١٥ . مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٣ .

تيودور هرتسل وقد انتهى المؤتمر ببعض المقررات كان من أهمها المناداة بخلق وطن قومى لليهود جميعا طبقا لما جاء فى خطبة هرتسل نفسه حيث قال: اننا هنا نضع الحجر الأساسى فى بناء البيت الذى سوف تأوى اليه الأمة اليهودية . وقد نبه هذا المؤتمر الى نشاط اليهود فى العالم الخارجى وبداية التحرك الصهيونى الذى بدأ فى مصر أيضا منذ سنة ١٨٩٦ حينما وفد على البلاد " جوزيف ماركو باروخ " . وشرع فور وصوله فى العمل على تأسيس مركز صهيونى [١] ونجح فى عام ١٨٩٧ فى تأسيس " جمعية بركوخبا " [٢] الصهيونية. فى نفس الوقت كان اليهود فى الخارج يأخذون فى التحرك فى كافة الميادين فى محاولة للحصول على هذا البيت اليهودى الذى أشار اليه هرتسل الذى سافر الى تركيا ليقابل السلطان العثمانى هناك عام ١٩٠١م وحاول أن يضرب للسلطان على وتر كان يعرف مقدار حساسيته وأهميته بالنسبة له وهو أن خزانة السلطان كانت خاوية وان اليهود على استعداد تام لأن يمدوها بما

---

١) Rapheal Patai: Encyclopedia of Zionism and Israel V.I. P. 278. N.Y. 1971.

٢) بركوخبا : يهودى ظهر فى القرن الثانى الميلادى وقاوم الامبراطورية الرومانية فى ثورة شنها عليها سميت باسمه " ثورة بركوخبا " . وكان سبب هذه الثورة طبقا للروايات اليهودية رغبة " هادريان " فى هدم معبد اليهود واقامة معبد جديد يقيمه على الطريقة الرومانية ولما شعر اليهود بخطر ذلك اشتعلت الثورة وهب الجميع فى وجه " هادريان" لتدخله فى مقدساتهم. ونجحت الثورة لفترة من الزمن وانضم اليها كثير من المثقفين اليهود منهم راب عقيبا الذى اعترف بقائد الثورة على أنه المسيح المنتظر وكان نتيجة ذلك أن قتله الرومان بعد أن عذبوه وكانت وفاة عقيبا سنة ١٣٥ م . ولهذا سميت هذه الجمعية باسم بركوخبا باعتباره رمزا للنضال اليهودى فى فترة تاريخية.
انظر : Joseph Halpern: History of our people in Rabblinic Time P. 99. London 1939.

تحتاج اليه من أموال. الا أن السلطان لم يستجب لمطلبه وهكذا فشل هرتسل فى مساعيه ومطامعه لدى الباب العالى فى تركيا للحصول على مكاسب لليهود فى فلسطين فى مقابل أن يمد السلطان بالمال الذى كان فى أشد الحاجة اليه. وتعتبر هذه الحادثة من المواقف المشرفة فى تاريخ الخلافة العثمانية التى يذكرها التاريخ .وتحركت الصهيونية متجه الى مصر فى محاولة الحصول على موافقتها على منحها جزءا من شبه جزيرة سيناء ، ووافق الخديوى عباس حلمى فى البداية ثم عادت الحكومة وسحبت المشروع واعلنت أنها ستعيد النظر مرة أخرى فيما يتعلق به ثم أعلنت عن رفضها له بعد ذلك.

وعلى أية حال فالمتتبع لتاريخ اليهود فى مصر فى نهاية القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين يلاحظ أن يهود مصر رغم انقسامهم طبقيا الى فئات ثلاث تذكرنا الطبقة الاولى منهم بطبقة أصحاب الامتيازات التى كانت معروفة فى المانيا فى منتصف القرن الثامن عشر فى فترة الاستنارة اليهودية التى أعلنها موسى مندلسون وعاونه جيل الجماع الا أن هناك بعض الملاحظات العامة بالنسبة لليهود المقيمين فى مصر منها :

أولا :مع بداية القرن العشرين بدأت موجات عديدة من المهاجرين اليهود من مختلف البلاد تفد الى مصر . ومصر دائما تفتح ذراعيها لأى وافد اليها دون التحقق من نواياه وأهدافه .

ثانيا : رغم ما اعطت مصر لهؤلاء اللاجئين من حرية . واعانت الكثيرين منهم وسمحت لهم بمزاولة أنشطتهم المتعددة فانهم كانوا يخفون النوايا الحقيقية لتلك الهجرة .

ثالثا : بدأ هؤلاء يستغلون يهود مصر أبناء الوطن ويبثون فى أذهانهم أفكار الصهيونية وأحلام العيش الى جوار الهيكل وحائط المبكى ، وقد استجاب لهم البعض .

رابعا : يلاحظ أن النشاط الفعلى لحركة الدعوة الى الصهيونية والعودة الى

فلسطين كان يترعمها يهود البلاد الأوروبية ولم يكن ليهود مصر دور فعال ونشط وان وجد فمن توجيه اليهود الأجانب . وعلى سبيل المثال فانه عام ١٩١٥ كان عدد اليهود الذين وطلوا الى الاسكندرية يقدر بحوالى ١١٢٢٧ يهوديا وسارع ذوو النفوذ والجاه من يهود مصر بالتوسط لهؤلاء اللاجئين اليهود لدى الحكومة فأمر السلطان حسين[١] بصرف اعانة يومية بجانب ماكان يجمع لهم من تبرعات من المصريين أنفسهم . ونشطت الصحافة اليهودية التى تصدر فى مصر فى ذلكالوقت بتوجيه من الوافدين أو بدافع العطف والتعاطف مع أبناء الدين الواحد فى وصف البؤس الذى يلاقيه هؤلاء فى معسكرهم ومما ذكر فى شأن هؤلاء أنه يعيش فى منطقة القبارى بالاسكندرية مايقرب من ١٦٠٠ نسمة يتكلمون أربعة عشر لغة مختلفة [٢]وان اللغة العبرية هى وسيلة التفاهم بينهم وقد أتاح لهم المصريون سبل العيش فى أمن وطمأنينة ، كما سمح لهم باقامة شعائر دينهم فى حرية تامة مما دفعهم الى تقديم الشكر للوزارة على حسن معاملتها .[٣]

بدأ هؤلاء اليهود الذين وطلوا ضمن أفواج اللاجئين أو الذين جاءوا فرادى أو جماعات قبل وبعد ذلك يخططون لقيام مراكز عديدة للحركة الصهيونية . واجتمعوا فيما بينهم ليقرروا موقفهم بالنسبة للحرب العالمية الدائرة وكأن هذه الحرب موجهة اليهم وحدهم وفى النهاية استقر الرأى على ضرورة خوض الجندى تلكالحرب الى جانب الانجليز وفى فلسطين

---

١) أحمد محمد غنيم ، أحمد أبوكف : اليهود والحركة الصهيونية فى مصر ١٨٩٧-١٩٤٧ . كتاب الهلال . يونيو ١٩٦٩ م.
٢) جريدة مصر الاسرائيلية بتاريخ ١٩١٥/١/٣٠ .
٣) أرسل ادجار ساويرس رئيس الطائفة الاسرائيلية فى الاسكندرية رسالة شكر الى حسين باشا رشدى رئيس مجلس الوزراء فى ذلكالوقت جاء فيها .. لقد اثبتم مرة أخرى تحرر هذا البلد ، وضيافته الكريمه ، وأن طائفتنا لعلى ثقة فى هذه المناسبة بأنها تعبر عن عرفان يهود العالم للحكومة المصرية على الاجراءات السريعة والفعالة لمساعدة هؤلاء..
انظر : اليهود والحركة الصهيونية . ص ٢٤ .

على التحديد وبالفعل تكون مايعرف بالفيلق اليهودى أو الفرقة اليهودية التى كانت تسمى فى ذلك الوقت براكبى البغال أو فرقة البغالة وكونوا من المجتمعين و فدا يضم يوسف ترمبلدور ، وفلاديمير جابوتنسكى.[1] ليقابل قائد القوات البريطانية فى مصر وحضر هذه المقابلة موسى قطاوى باشا باعتباره رئيسا للطائفة اليهودية فى مصر واحد رجال اليهود ذوى الامتيازات والنفوذ ، وقد رحب بهم القائد البريطانى كما رحب بالفكرة التى حضروا من أجلها وكانت هذه الفرقة تضم الى جانب المتطوعين من اليهود اللاجئين الى الاسكندرية

---

١)يوسف ترمبلدور / ١٨٨٠-١٩٢٠ .
يهودى روسى ، جند فى الجيش الروسى عام ١٩٠٢ وفقد ذراعه اليسرى فى الحربالروسية - اليابانية درس الزراعة والقانون وأخذ فىتنظيم مجموعة من الصهاينة فى أوكرانيا سنة ١٩١١ وقرروا الهجرة الى فلسطين. حضر المؤتمر الصهيونى الحادى عشر عشر فى فينيا عام ١٩١٢ وعند عودته الى فلسطين رحلته السلطات التركية الى الاسكندرية حيث شارك هناك فى تكوين فرقة البغالة الصهيونية وأصبح نائبا لقائدها . سافر مع جابوتنسكى الى لندن من أجل تكوين الفيلق اليهودى . فى عام ١٩١٧ سافر الى روسيا وفى عام ١٩١٩ سافر الى فلسطين وظل هناك فى الجليل الاعلى الى أن قتله العرب عام١٩٢٠ . مايزال شباب المنظمات الصهيونية هناك يعتبرونه مثلا أعلى لهم.

فلاديمير جابوتنسكى ١٨٨٠-١٩٤٠
ولد فى روسيا ومات فى الولايات المتحدة . تحول الى الصهيونية عام ١٩٠٣ درس القانون فى فرنسا وايطاليا واشترك فى المؤتمرات الصهيونية الاولى . برز فى مجال العمل الصهيونى فى روسيا ثم انتقل الى استانبول حيث كان مسئولا رسميا عن شبكة الصحافة الصهيونية فى الفترة من ١٩٠٩ - ١٩١١ . يعتبر من أهم مؤسس الصندوق القومى اليهودى . والفيلق اليهودى . قاد وحدات الهجاناه لقمع المظاهرات العربية عام ١٩٢٠. عمل على تشجيع الهجرة غير الشرعية الى فلسطين وتبنى ماعرف بسياسة الردع النشط لارغام العرب على الاعتراف بالوجود الصهيونى .
انظر : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية . ص ١٤٣-١٤٧.

حوالى مائة وخمسون من يهود الاسكندرية [١]، وقد أدت خدمات جليلة للانجليز فى حربهم واستمرت فى صفوف القتال الى أن صدرت الاوامر بحلها فى عام ١٩١٦م .

لقد كان ترمبلدور وجابوتنسكى نماذج فقط لليهود الأجانب الذين تسلطوا على يهود مصر بل وعلى سير الحركة اليهودية كلها داخل البلاد ، ان كل موسسة أو محفل أو جمعية أو صحافة على ماسنرى فيما بعد كان المهيمنين عليها من اليهود الأجانب ، ولذا عرفت مصر أسماء عديدة ليهود تولوا مراكز ومناصب وأسسوا مصانع وموسسات لم يكونوا أصلا من يهود البلاد وقد حاول هولاء أن يعزلوا قدر المستطاع يهود مصر عن المجتمع المصرى لذلك بدأوا فى بناء المستشفيات الاسرائيلية الخاصة ، والملاجئ والمدارس العديدة بمراحلها المختلفة كما أقاموا المحافل اليهودية التى كان أهمها محفل ابنميمون ، وكان الهدف من هذه المحافل المحافظة على جمع شمل اليهود وتركيز مجهوداتهم والاستفادة من هذه المجهودات . وقد افتتح محفل ابن ميمون عام ١٨٨٧ .

وقد عرف المجتمع اليهودى فى مصر خاصة تلك الطبقة التى أشرنا اليها من قبل وهى طبقة أصحاب الامتيازات عرف هذا المجتمع بعض الاسر اليهودية المعروفة على الصعيدالمصرى كله مثل اسرة موسى قطاوى باشا ، ويوسف موصيرى الذى كانت له علاقات ودية مع العديد من الأمراء ورجال الحكم ، كذلك أسرة سوارس وهذه الأسر لعبت دورا بارزا فى توجيه الاقتصادى المصرى فى النصف الاول من القرن العشرين فالى اسرة سوارس يرجع انشاء البنك العقارى وكثير من الشركات . وقد وصل بعض هولاء اليهود الى منصب الوزارة ففى عام ١٩٢٤ عين يوسف قطاوى باشا وزيرا فى حكومة الملك فواد. وهذا يوضح بلاشك أن مصر رغم تغير حكامها لم تتغير أصالتها وتمسكها بالدين الاسلامى الذى سمح لأهل الذمة أن يعاملوا نفس معاملة المسلمين ، الا أن بعض اليهود قد فسر اختيار يوسف قطاوى تفسيرا آخر فكتب أحدهم يقول : " انه منذ تعيين يوسف

---

١) يذكر بعض الباحثين أن مصاحبة موسى قطاوى لهذا الوفد كان باعتباره فقط رئيسا للطائفة الاسرائيلية بالقاهرة فى ذلك الوقت . وان الكلمة الأصلية والمسموعة كانت لهولاء اللاجئين . كما أنه بعد تكون الفرقة اتضح أن نسبة اليهود المصريين فيها لايتعدى الثلث فقط ولايعلم كيف تم اقناع هولاء بذلك العمل . انظر : أحمدأبوكف: نفس المصدر السابق.

الصديق وزيرا لفرعون مصر . لم تعرف مصر وزيرا يهوديا الا فى القرن العشرين اسمه يوسف قطاوى باشا ".(١)

واذا كانت الطبقة الاولى فى المجتمع اليهودى ذات صلات قوية بالجهات العليا الرسمية وتبوأت أعلى المناصب فى الدولة ، فان الطبقة التالية لها لم تكن أقل منها أهمية فى المجتمع اليهودى بصفة خاصة والمصرى بصفة عامة اذ كان منها عدد كبير من رجال الأعمال فى شتى الميادين خاصة تجارة القطن ، واعمال الصيرفة والبنوك والبورصة والمضاربات وأصحاب المحلات التجارية الكبرى . وتظهر الفروق واضحة وجلية بين هاتين الطبقتين وبين الطبقة اليهودية الثالثة مما يعيد الى الأذهان ويذكرنا تماما بما كانت عليه طبقة أصحاب الامتيازات من اليهود فى المانيا ومعظم الدول الاوروبية فى القرن الثامن عشر اذ كانت لهم حياتهم الخاصة بعيدا عن أحياء الجيتو اليهودى أو حارات اليهود هنا فى مصر الأمر الذى كان يجعل الكثير من هؤلاء المميزين فى مصر لايتقيدون كثيرا بعادات وتقاليد اليهود المعروفة سواء الدينية منها أو الاجتماعية وانما تحرروا من العديد منها حتى اللغة العبرية لم يعد أحد يستخدمها وانما تحدثوا الفرنسية لغة الطبقات الراقية فى المجتمع . وقد أتاحت هذه المعيشة ليهود الطبقتين الاولى والثانية العديد من الفرص للتحكم فى الاقتصاد والامور المالية فى مصر واحتكار أنواع معينة من التجارة وقد أشار

---

١) أحمد محمد غنيم وأحمد أبو كف : اليهود والحركة الصهيونية ص ٢٨ ومابعدها . ويبدو أن داء التناس والنكران سمة من سمات الشخصية اليهودية دائما ، وان تجاهلهم لاحداث التاريخ خاصة اذا كان فى غير مايريدون عنصر هام فى تكوينهم . اذ كيف نسى هؤلاء اليهود أنهم عاشوا فى حرية فى ظل الخلافة الاسلامية منذ عصر الولاة الى آخر عهد المماليك . وكيف تناسوا يهوديا هو يعقوب بن كلس تقلد الوزارة فى عهد المعز لدين الله وعهد خلفه العزيز ؟ كما أن ابا سعيد بن سهل التسترى كان وزيرا أيضا للخليفة الظاهر . كل هؤلاء كانوا يهودا تقلدوا الوزارة قبل يوسف قطاوى . وهل كان موسى بن ميمون فى مكانته كطبيب خاص لصلاح الدين أقل منزلة عنه من وزارة ؟
يوسف تطاوى هذا شغل منصب وزير المالية فى حكومة سعد زغلول سنة ٢٤ ثم اختير وزيرا للمواصلات فى حكومة أحمد زيور باشا سنة ٢٥ .

بعض الباحثين فى تاريخ مصر الحديث - وقد عاصر عهد الخديوى اسماعيل - الى تحكم هؤلاء اليهود فى المسار الاقتصادى وانهم كانوا يدفعون الخديوى الى عقد القروض من بيوت [1] المال اليهودية وان كان هذا لايعفى الخديوى من المسئولية الاولى لتدهور الوضع فى مصر .

ولعل تعدد جوانب الأنشطة المختلفة التى قام بها اليهود فى مصر لخير دليل على مدى ماكانوا يتمتعون به من حرية فاقت الحد ، فأصبحوا يتحكمون فى كثير من أمور البلاد . ولكى نبرهن بالدليل الدامغ على صحة مانقوله نستعرض بعضا من هذه الانشطة فى مجالاتها المختلفة والدلالات العامة لهذه الانشطة . ففى مجال الانشطة الاجتماعية والدينية والدينية نلاحظ مايلى على سبيل المثال لا الحصر:

أولا : فى ١٦ يناير ١٨٨٧ افتتح محفل ابن ميمون وهو أول المحافل اليهودية فى مصر وقد قام بتأسيسه مجموعة من اليهود الوافدين على مصر من أجناس متعددة من الرومانيين ، والبولنديين والروس . وحضر حفل الافتتاح مندوبان عن اللجنة التنفيذية بشيكاغو وكان من أهدافه انشاء صندوق للمساعة ، واقامة عيادة طبية لليهود بالمجان ، وصندوق لاقراض المهاجرين الوافدين . وامتد نشاط هذا المحفل بعد ذلك الى المجال التعليمى حيث أنشأ عام ١٨٩٢ أول مدرسة يهودية هى مدرسة ابن ميمون . وعندما قامت الحرب العالمية الاولى ساهم مساهمة كبيرة فى ايواء اليهود المهاجرين الى مصر .

ثانيا : أقيم محفل " بنى بريث " فى مصر عام ١٩١١ ويعتبر ثالث المحافل المصرية وكان عدد أعضائه عند التأسيس سبعة وعشرون عضوا وقد زاد هذا العدد الى ١٢٠ عضوا عام ١٩٣٨م [2] وقد ذكر بعض الباحثين أنه اذا

---

١) عبدالمنصف محمود : اليهود والجريمة ص ١٥٨ المجلس الاعلى للشئون الاسلامية سنة ١٩٦٧

٢) اعتقد أن مجمعا قام بانشائه اكبر طائفة يهودية بل هى جمهور اليهود تقريبا وهى طائفة الربانيين يبلغ أعضاؤه ١٢٠ عضوا بعد ٢٧ سنة أمر يحتاج الى وقفة قصيرة فهذا العدد الضئيل فى تلك الفترة الزمنية الطويلة لدليل على عدم تقبل يهود مصر لفكر الحركة الصهيونية تقبلا مقنعا .

وضعنا فى الاعتبار أن الانضمام لعضوية هذا المحفل تتم بعد اختبار دقيق ووفق شروط معينة مشددة منها الايمان الشديد بالمبادئ الصهيونية لاتضح لنا أهمية هذا العدد من الأعضاء.(١)

ثالثا : تكونت فى الاسكندرية جمعية محبة صهيون عام ١٩٠٨م بالاضافة الى عدد آخر من الجمعيات الخيرية اليهودية التى انتشرت فى مدن أخرى غير القاهرة والاسكندرية .

رابعا : بلغ عدد المعابد اليهودية خلال النصف الاول من القرن العشرين مايقرب من ٢٩ معبدا كان من أهمها المعبد الموجود بشارع عدلى وهو من أحسن هذه المعابد من الناحية المعمارية والفنية ، وهناك معبد آخر يسمى المعبد الاشكنازى افتتح عام ١٩١٢ بحى الظاهر بالقاهرة كما أن من أقدم تلك المعابد معبد ابن عزرا بمصر القديمة . والى جانب هذه المعابد الثلاثة كانت هناك معابد أخرى منتشرة فى مصر الجديدة وحلوان بالاضافة الى معابد الاسكندرية التى بلغ عددها عشرون معبدا اقدمها معبد " الياهوحنابى" الذى أسس عام ١٨٥٠ بليه معبد عزوز ثم معبد كاسترو الذى أوصى موسى كاسترو بمبلغ أربعة آلاف من الجنيهات لاقامته عام ١٩٢٠ . واقيمت معابد أخرى فى محافظات طنطا ودمنهور والمنصورة وغيرهم.(٢)

ويلاحظ أنه فى مجال هذه الانشطة فقد حاول اليهود أن يكونوا مستقلين عن المجتمع المصرى الذين يعيشون فى داخله يدل على ذلك أنهم قاموا بانشاء المستشفيات الاسرائيلية الخاصة ،والملاجئ وكذلك المدارس العديدة بمراحلها المختلفة وكانت أول مدرسة هى مدرسة ابن ميمون السابق ذكرها وكانت الدراسة فى هذه المدرسة دراسة مستنيرة لاتسير على نظم الدراسة اليهودية التقليدية التى عرفت من قبل وانما كانت متأثرة تأثرا واضحا بما ساد الحركة الاستنارية بصفة عامة من ضرورة الانفتاح على الثقافات الاجنبية التى سبق أن نادى بها مندلسون وجيل " الجماع" ، ولذا كان طلاب هذه المدرسة يتلقون فيها

---

١) أحمد محمد غنيم ، أحمدأبو كف : نفس المصدر ص ٣٠ .
٢) نفس المصدر .

اللغة العبرية والعربيةوالانجليزية . وأساس التدريس فيها باللغة الفرنسية . والجدير بالملاحظة ان تخطيط اليهود لم يكن محصورا فقط فى انشاء المدارس الابتدائيةوالثانوية بل امتد ذلك الى الاهتمام بتكوين العقلية العملية للنشئ اليهودى وذلك عن طريق انشاء المدارس التى تهتم بالمجالات الحرفيةوالصناعية فأنشأ اليهود مدرسة الفنون والصنايع اليهودية عام ١٨٩٧ وكان من بين أقسامها المتعددة قسم للحياكة ، والميكانيكا ، والاحذية وتجليد الكتب وصناعة الرخام . ولم يكن انشاء تلكالمدارس قاصرا على العواصم فقط وانما امتد ذلك الى الاقاليم حيث انشئت مدرسة الأليانس [1] الاسرائيلية فى طنطا عام ١٩٠٥ ومدارس أخرى .

وفى عام ١٩٢٥ انشئت جمعية مصر للدراسات التاريخية اليهودية وكان الهدف من انشاء هذه الجمعية دراسة كل مايتعلق بتاريخاليهود فى الشرق فى عصوره المختلفة وكان رئيس شرف الجمعية الحاخام " حاييم ناحوم " أما رئيسها الفعلى فهو يوسف قطاوى باشا . وقد ضمت الجمعية صفوة من رجالالفكر والأدب اليهودى فى مصر منهم " الفريد يلوز " الذى كان يعمل مترجما فى وزارة الزراعة المصرية ، وكان له اهتمامات خاصة بالفكر والأدب اليهودى ، وقام بجمع مجموعة كبيرة من أقوال مفكرى اليهود فى عصور متعددة وضمنها كتابا أسماه " فى الفكراليهودى " وطبع هذا الكتاب فى مصر . ومن بين أعضاء هذه الجمعية مراد فرج المحامى وهو من طائفة القرائين النشطين فى المجالات الفكرية والأدبية ومن الذين أسهموا مساهمة كبيرة فى نشر الفكر اليهودى لغة وأدبا ودينا بما أخرجه من مؤلفات عديدة فى مجالات مختلفة فقد كتب عن القرائين واوجه الاتفاق والاختلاف فى فكر هاتين الفرقتين ، وكتب كتابا عن شعراء

---

١) الأليانس : كلمة فرنسيةتعنى التحالف . وقد تأسس الاليانس فى باريس فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر (١٨٦٠) هادفا الدفاع عن الحريات المدنيةوالدينية لليهود ، والعمل على تنمية المجتمعات اليهودية عن طريق التعليم والثقافة والتدريب المهنى والوقوف الى جانب اليهود فى أزماتهم وأصبح له فروع فى معظم أنحاء العالم ولم يكن قادته فى البداية منأصحاب الفكر الصهيونى غير أنهم أيضا رفضوا فكرة الاندماج والزوبان فى مجتمعاتهم . وقد أسس هذا التحالف شبكة تعليميةواسعة فى بلاد كثيرة حتى بلغ عدد تلاميذه عام ١٩٦٧ مايقرب من ٢٥ ألف تلميذ .
انظر : د. عبدالوهاب المسيرى : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ٨٥ .

اليهود العرب ، وصاغ سفر ايوب فى صورة شعرية موزونة ومقفاه هذا الى جانب مؤلفاته اللغوية والنحوية الاخرى التى تخدم اللغة العبرية على ماسيأتى ذكره .

واذا كان المجالان الاجتماعى والدينى قد شغل حيزا كبيرا من نشاط اليهود فى مصر فى العصر الحديث فاننا نجد أيضا أن المجال الاعلامى قد دعمهما ولم يكن أقل حظا منهما . ففى هذا المجال نلاحظ أن اليهود منذ أواخر النصف الثانى من القرن التاسع عشر والأول من القرن العشرين قد أصدروا العديد من الصحف والنشرات ، وبلغات مثل الفرنسية بالاضافة الى اللغة العبرية والعربية وان كانت الصحف العبرية لم يكتب لها الدوام بل توقفت بعد صدور الاعداد الاولى نظرا لأن اليهود فى مصر لم يكن لهم المقدرة الكافية على القراءة بالعبرية والصحف التى كانت تصدر باللغة العربية قد استمر بعضها فى الظهور الى أواخر الخمسينات من هذا القرن . ونلاحظ أن طائفتى القرائين والربانيين كانت لهما صحفها المستقلة كل عن الاخرى تماما ربما حتى فى الاتجاه العام والفكر الصحفى لدى كل منهما . ومن الصحف التى صدرت عن الطائفة القرائية :

أولا : التهذيب :

وقد صدرت هذه المجلة عن " المجلس الملى " لطائفة القرائين[1] فى ١١ أغسطس عام ١٩٠١ ورأس تحريرا مراد فرج المحامى وقد كتب فيها معظم مقالاته[2]

---

١) تذكر المصادر المؤرخة لطائفة القرائين أن نظام الحاخامية فيها كان قد سار فى اتجاهين طبقا لما كان عليه الحاخام نفسه . فقد كان الحاخامون أنفسهم يتبعون واحدة من مدرستين سادتا هذا النظام الدينى للطائفة . المدرسة الاولى وهى المدرسة المحافظة האסכולה השמרנית . وكان الحاخامون فيها هم الوافدون من روسيا . أما الحاخامون الوافدون من تركيا فانهم يتبعون المدرسة الليبرالية האסכולה הליברלית . وحاخامو المدرسة الليبرالية كانوا أقل تشددا من المدرسة المحافظة فيما يتعلق بعلاقة الطائفة بجمهور الربانيين . وكان أول حاخام قرائى تركى للطائفة فى مصر فى القرن العشرين هو " شبتاى بن الياهو " المولود فى تركيا عام ١٨٣٦ جاء الى مصر ١٨٧٦ كطلب الطائفة وعين فى مهمة الحاخام الاكبر للطائفة وظل فيها لمدة ٣٠ سنة .

انظر : תולדות היהודית הקראית בדרך ראשון עמ' 152 - 153.

٢) المصدر السابق ص ١٦١ ج ٢ .

ولم تكن التهذيب منتظمة فى موعد صدورها فى البداية . ومنذ العدد الأول منها نعرف أنها قد خصصت لخدمة الطائفة القرائية داعية الى الاتحاد وغرس المحبة فى قلوب أبناء الطائفة ، ولم يكن هدفها كما أعلنت فى أعداد لاحقة العمل على الكسب المادى .[1] وكانت أخبار القرائين فى مصر أو فى البلاد الخارجية تحتل الجزء الأكبر من المجلة وذلك بهدف التقريب بين أبناء المعتقد الواحد داخل وخارج البلاد . وكانت " التهذيب " فى مناسبات كثيرة تدافع عن الاساءات التى قد تلحق باليهود بصفة عامة وتحاول أن تنفى أية اتهامات قد توجه اليهم كتهمة الدم .

ولم تكن مجلة التهذيب بمعزل عن المجتمع الاسلامى المصرى الذى تعيش فى وسطه وكانت تشاركه مناسباته الا أن مشاركتها كانت ضئيلة فيما يتعلق بالشئون المصرية اذ لم يكن يتعدى تهنئة المصريين بأعيادهم أو تهنئة الخديوى ورجال الحكم بالمناسبات الخاصة والعامة ومن سمات هذه المجلة البارزة فى معظم الأعداد التى صدرت منها عنايتها بالأدب بصفة عامة ويرجع ذلك بلا شك الى أن المتصرف فى تحريرها كان من أكبر ادباء ومثقفى اليهود القرائين وهو مراد فرج وله العديد من الأشعار والمؤلفات الأدبية وقد صاغ سفر أيوب فى العهد القديم شعرا منظوما ومقفى على الوزن العربى ، كما أنها أيضا قد عنيت بالآداب العربية الى حد ما . غير أنه يبدوأن المجلة لم توفق فى التوزيع ولذا توقفت عن الظهور بعد السنة الاولى لفترة من الوقت ثم ظهرت مرة أخرى فى اكتوبر ١٩٠٢ [2] لمدة سنة تقريبا ثم توقفت نهائيا عن الصدور بعد ذلك .

ثانيا : الارشـــاد :

وتعتبر ثانية الصحف التى صدرت عن الطائفة القرائية فى بداية القرن العشرين بمصر ، وقد صدرت عام ١٩٠٨ ورأس تحريرها فرج سليم ليشع ، وكانت تصدر فى البداية كل اسبوعين الا أنها صدرت بعد فترة كل ثلاثة أسابيع . وقد

---

١) مجلة التهذيب ، العدد ٢٦ فى ١٩٠٣/٦/٣ .
٢) سهام عبدالرازق عشرى : صحافة اليهود العربية فى مصر ص ٢٥ سنة ١٩٧٨ م .

اهتمت " الارشاد" فى المقام الأول بالعمل على معالجة شئون القرائين والعمل أيضا على توخى الاصلاح فى داخل الطائفة وشجب ماقد يكون هناك من خلافات ، وقد اشترك فى تحريرها مجموعة من الشباب القرائى منهم مراد فرج حيث واصلا بلا شك مجهوداته الأدبية والفكرية .

ولكن يبدو أن الاتجاه الاصلاحى الذى تبنته " الارشاد " ودعت اليه كان شديد النقد للطائفة [1] الأمر الذى أدى فى النهاية الى توقفها عن الصدور بسبب ذلك فى عام ١٩٠٩ وان كان يبدو أن الصعوبات المادية في الإنفاق على المجلة كان من العوامل التى أدت إلى هذا التوقف اذا وضعنا فى الحسبان قلة توزيع الاعداد الصادرة منها . ولايوجد منها ضمن مابقى من الصحف اليهودية أية أعداد .

ثالثا : الاتحاد :

توقفت الصحافة القرائية بعد توقف الارشاد فترة طويلة الى منتصف العقد الثانى من القرن العشرين عندما أصدرت " جمعية الاتحاد الاسرائيلى القرائى" فى ابريل ١٩٢٤ جريدة الاتحاد ، وكانت تصدر كل أسبوعين واستمرت على ذلك الى أن توقفت عام ١٩٢٩ وكان شعارها أنها مجلة أسبوعية أدبية مصورة ولكنها كانت تصدر كل أسبوعين كما سبق أن ذكرنا . وقد اتضح اتجاه المجلة جليا منذ صدور العدد الاول منها فى ١٩٢٤/٤/٢٠ فقد جاء فى افتتاحية هذا العدد أن الغرض الأساس من اصدارها هو" معالجة النقص الذى تعانى منه طائفة القرائين فى مصر من عدم وجود مجلة تبحث فى شئونها العامة ، وتتولى رعاية مصالح مجموع أفرادها وسد حاجتها الى وجود صحيفة تقوم بنشر آراء أفرادها والتعبير عن أفكارهم وتزكى فى نفوسهم روح الهمة والنشاط للعمل على مافيه فلاح الطائفة وتقدمها فى جميع مرافق الحياة" [2] وكان صاحب الامتياز والمدير

---

1)

2) مجلة الاتحاد : العدد الأول ١٩٢٤/٤/٢ الافتتاحية .

المسئول فيها هو يوسف فرج صالح ، وقد حل مكانه بعد ذلك ليطو منجوبـاى الذى دفع بعجلة التقدم والتطور فى المجلة غير أن مرضه [1] قد تسبب فـى توقف المجلة فى نهاية ١٩٢٩ .

ويذكر بعض المؤرخين للطائفة القرائية أن المجلة قد انتقدت بشـدة الأوضاع داخل الطائفة وهاجمت بضراوة هذا الوضع ودعت الى بث روح التضامـن والاخاء بين جميع افراد الطائفة ودعوتهم للنهوض بها . كما كان من خطة المجلة أيضا نشر أخبار الطائفة فى الخارج حتى يتمكن القراءون سواء فى مصـر أو الخارج من التعارف على أفراد طائفتهم ولو روحيا ان تعذرت اللقاءات . ويرى البعض أن من عوامل توقف المجلة عن الصدور شدة الانتقادات التـى وجهت الى الطائفةومؤسساتها المختلفة الى جانب الصعوبات المادية التـى واجهتها ولم يمكن التغلب عليها [2]

وصدور هذه المجلة فى هذا التاريخ وقد سبقها بأعوام صدور وعد بلفـور لليهود بتكوين وطن قومى لهم فى فلسطين شد كثيرا من عضد الصهيونية وسمـح للصهيونيين فى أى مكان بالتحرك السريع والعمل بهمةعلى تحقيق هذا الحلـم القديم لديهم . كل هذا قد دفع بالمشرفين على هذه المجلة الىالتورط فىالخوض فى الأمور الصهيونية التى تتنافى مع شعار المجلة منذ العدد الأول . وتـورط المجلة فى ذلك دفع بعض الباحثين الى القول بأنها مجلة صهيونية الهويـة وخاصة عندما نشرت فى عددها الثالث الصادر فى ١٩٢٤/٥/١٨ صورة اللورد بلفـور ونص الوعد الذى منحه لليهود باقامةهذا الوطن المزعوم لهم . وتوالت بعـد ذلك فى نشر صور زعماء الحركة الصهيونية المعروفين على مستوى العالـم كله ، وان صوت قرائى العالم كله يرحب فىأن تكون فلسطين لهم. [3]

---

١) תולדות היהודית הקראית ע"ז 162.

٢) نفسالمصدر .

٣) سهام عبدالرازق عشرى : صحافة اليهود العربية فى مصر . رسالة ماجستيـر مقدمة الى كلية الاعلام ١٩٧٨ .

ورغم مايتبادر الى الذهن من النظرة الاولى الى هذا الاعلان الذى ضمه العدد الثالث من مجلة الاتحاد والذى يوحى باتجاه المجلة وانحرافها الى الصهيونية الا أننا كباحثين يجب أن نتحفظ فى هذا الاتجاه فليس نشر صورة زعماء الصهيونية بدليل قاطع وقوى على انتماء المجلة اليها على الاطلاق ، كما أن اعلانها عن التأييد لهذه الحركة وان أصوات القرائين ترحب بها ليس أيضا بالدليل المادى على هذا الانتماء واعتقد أنه لايخرج عن كونه نوع من التعاطف بين أبناء الجنس الواحد والديانة الواحدة الذين يشعرون داخليا بأنهم طائفة قليلة العدد والتأثير فى هذا الجمهور الكبير الذى كان يشمل الربانيين وحتى لايكونوا فى وضع قد يثير عليهم الجماهيرالمندفعة الى هذه الحركة وتلك حقيقة نلمسها فى فكر هذه الطائفة . كل هذا مع تسليمنا بأن نشر أخبار الصهيونيةوتحركاتها وما تتلقاه من تبرعات من اليهود فى العالم أجمع كل ذلك من شأنه أن يزيد فى الهاب القلوب وتحريكها وهذا ماوقعت فيه هذه المجلة بلا شك نظرا لظروف العصر الذى كانت تعيشه وكان آخر أعدادها فى ١٩٢٩/٨/٢٠ بعد أن استمرت حوالى خمس سنوات لم يكن للفكر الصهيونى الا القدر الضئيل فى موادها .

رابعا : مجلة الكليم :

(١)
صدرت مجلة الكليم عن طريق جمعية الشبان الاسرائيليين القرائين بمصر

---

١) جمعية الشبان الاسرائيليين القرائين :
تأسست هذه الجمعية فى عام ١٩٤٤ وضمت اليها جميع حركات وتنظيمات الشبيبة الاسرائيلية القرائيه بمصر بهدف توحيد الجهود والانشطة ، وعملت على بث روح جديدة فيهم ، وكان على رأس هذه الجمعية السيد زكى منشه وقد تفرع عن الجمعية عدد من اللجان كان أهمها لجنة " الكليم " والتى تتكون من ثمانية أعضاء ، ولجنة تهتم بالتعليم الدينى والثقافة العبرية ، وفى عام ١٩٤٥ نظمت الجمعية لجنة أحباء التوراة وقد قامت بطبع العديد من الكتب عن التوراة وخصت كتبها لأبناء الطائفة وقد كتبت الكتب الصادرة بعدة لغات هى العبرية والعربية والانجليزية والفرنسية كما نظمت دروسا لتعليم اللغة العبرية ، وأول كتاب تعليمى كان من تأليف مراد فرج المحامى وهو قطب من أقطاب طائفة القرائين وفى عام ١٩٥٠ عقد اجتماع عام لأبناء الطائفة لتأسيس مستشفى خيرى لعلاج المحتاجين.
انظر : תולדות היהודית הקראית , ע" 164.

وهى مجلة تصدر كل أسبوعين وصدر عددها الاول فى ١٦ فبراير ١٩٤٥ ونستطيع أن نقف على الغرض من اصدار هذه المجلة من محتويات وافتتاحية العدد الاوّل ويتلخص هذا الهدف فى أنها صدرت لتكون لسان حال الطائفة القرائية بمصر التى تدعو الى رفع مستوى أبنائها والنهوض بهم اجتماعيا وفكريا . وقد استوحى القائمون على أمور المجلة اسمها من الاسم الذى أطلق على سيدنا موسى عليه السلام بأنه كليم الله فقد جاء فى العدد الاول منها : " فكما أوحى الله تعالى للكليم أن أخرج شعبك من الظلال الى الهداية كذلك أوحى الفكر باصدار " الكليم" منارا ونبراسا للهداية ".(١)

ويبدو أن التصريح باصدار هذه المجلة لم يكن سهلا طبقا لما ذكر أحد المحررين الذى قال انه قد تم التصريح بالاصدار بعد مجهودات شاقة ومضنية وتعهدات على القائمين بأمر المجلة لاتلزم الجهات الرسمية تجاههم بشىء ، وتتطابق هذه الرواية مع ماهو موجود بالفعل فى ادارة المطبوعات حيث يتضح أن طلب الترخيص بالاصدار قد قدم مرتين غير أنه رفض فيهما وفى المرة الثالثة ووفق عليه بعد أخذ تحفظات وتعهدات معينة . ونظرا لانّ الفترة الطويلة التى تلت توقف مجلة الاتحاد عن الظهور الى أن صدرت مجلة الكليم (من ١٩٢٩–١٩٤٥) كانت فترة ركود فكرى وذهنى لابناء هذه الطائفة لخلو الساحة القرائية من صحيفة تعبر عن آراء الطائفة الرسمية وغير الرسمية ، واتاحة الفرصة لاعضائها للتعبير عن آرائهم ومعتقداتهم ، لكل هذا ماكادت تصدر هذه المجلة حتى انهالت التهانى عليها من أبناء الطائفة فقد أرسل اسرائيل ولفنسون(٢) رسالة الى رئيس تحرير الكليم تدل على مدى اغتباطه لصدور صحيفة تنطق بلسان

---

١) الكليم : العدد الأول فى ١٩٤٥/٥/٢٦ .

٢) اسرائيل ولفنسون : ويكنى أبو ذئيب : يهودى عمل فى التدريس بمصر وحصل على الماجستير والدكتوراه من كلية دار العلوم وله مؤلفات عديدة فى مجال الفكر اليهودى اللغوى والدينى منها : تاريخ اللغات السامية ، وكتاب عن ابن ميمون حياته ومصنفاته . قدم له الشيخ مصطفى عبدالرازق عمل بالتدريس بالجامعة العبرية بعد ذلك .

حال الطائفة القرائيه بمصر ، وابدى بعض الملاحظات والآراء التى طالبه بدراستها والعمل على تحقيقها مثل ضرورة اهتمام المجلة بأخبار القرائين فى العالم خاصة بعد ما اجتاح العالم امة واليهود خاصة من ويلات الحرب الثانية وان هذه المجله لا مثيل لها لدى القرائين فى أى بلد من البلدان اذ لم تكن لهم أية صحيفة بعكس القرائين بمصر الذين صدرت لهم الكليم . وكانت مثل هذه الرسائل تجعل القائمين على أمور المجلة يبذلون أقصى مالديهم من طاقة وجهد ونظموا عملية الاتصال او نشر كل مايتعلق بقرائى العالم قدر المستطاع.

وكما سبق أن ذكرنا أن الهدف من المجلة كان الاهتمام بشئون الطائفة بشتى الوسائل ورفع شأنها فى مصر والعالم أجمع وايجاد رابطة قوية بينها وبين قرائى العالم نظرا لاحساسهم بالضآلة العددية والاجتماعية بالنسبة لجمهور الربانيين . واهتمت المجلة كذلك بالتعليم ونشرت دروسا فى اللغة العبرية على صفحاتها . ورغم ان محررى المجلة قد التزموا الى حد كبير بالهدف الذى من أجله صدرت المجلة وهو العمل على رفع شأن القرائين فى كافة المجالات المتاحة الا اننا نجد فى أعدادها أحيانا تعاطفا مع ماساد العالم اليهودى كله من رغبة فى التجمع فى فلسطين والعمل المضنى فى سبيل تحقيق ذلك فقد طالب أحد محررى المجلة المجلس الملى للطائفة القرائيه بأن لايتناسى أو يتجاهل دفع الشباب للهجرة لفلسطين وكذلك تهجير بعض الاسر لتكون نواة لطائفة القرائين هناك . وان كنا نعتقد أن مثل هذا المحرر الذى يدعو الى الهجرة الى فلسطين انما يفعل ذلك من قبيل حجر المكان هناك أولا وحتى لايلاموا وسط الجماهير اليهودية المتعددة ثانيا يؤيد ذلك ماذهب اليه بعض الباحثين من أن المجلة قد استمرت فى الظهور الى مابعد قيام دولة اسرائيل ولكنها قد تخلت عن كل الموضوعات التى تتعلق بشأن الوطن القومى وقصرت الأمر على الموضوعات التى تهم الطائفة دينية كانت أم أدبية أو اجتماعية . وتبدو مظاهر الضعف والشيخوخه فى المجلة لأسباب كثيرة اعتبارا من عام ١٩٥٦م حيث بدأت تصدر مرة واحدة كل شهر الى أن توقفت نهائيا فى ٤ مايو ١٩٥٧ بعد أن سحب أصحابها التأمين الخاص بها ، كما أنهم لم يسارعوا الى الهجرة

لفلسطين عقب قيام الدولة .

هذا عن الصحافة اليهودية التى كانت لسان حال طائفة القرائين فى مصر فى العصر الحديث والتى كانت لها طابعها الخاص الذى تنفرد به عن بقية الصحف اليهودية الاخرى التى كانت تصدر فى هذه الفترة . ويمكن أن نلاحظ فى تلك الصحف التى أشرنا اليها مايلى :

أولا : أن طائفة القرائين وشعورهم المستمر بأنهم أقلية وسط جمهور الربانيين كان يشكل بالنسبة لهم مشكلة حاولوا التغلب عليها عن طريق الدعوة المستمرة فى هذه الصحف الى زيادة النسل وضرورة الاهتمام بذلك.

ثانيا : الاهتمام اهتماما كبيرا بشئون الطائفة والعمل على تجميع القوى القرائيةسواء فى مصر أو فى العالم أجمع وذلك عن طريق نشر أخبار القرائين فى العديد من البلاد خارج مصر للتعرف عليها .

ثالثا : يغلب الأسلوب الاصلاحى والنقدى البناء على معظم كتابات الصحف القرائية وذلك من باب التوصل الى الصورة المثلى لليهودى القرائى المتدين الذى يرفع شأن الطائفة عامة .

رابعا : لم تكن الصهيونية تشكل بالنسبة للفكر القرائى حيزا كبيرا ولم تكن تتعدى التعاطف بين أبناء الجنس الواحد والدين الواحد ، وان ماكان ينشر فى هذه الصحافة من أخبار اليهود فى فلسطينأو خارجها أو ذكر أخبار الحركة الصهيونية ونشر صور زعماء هذه الحركة ليس الا نوع من نشر أخبار أبناء الجنس الواحد أو على أقصى تقدير كان النشر يتم حتى لايقال بانعزال أبناء الطائفة عن اخوانهم بحيث يجرهم ذلك الى متاعب هم فى غنى عنها .

خامسا : الاهتمامبالثقافة العامة والفكر سواء كان فكرا دينيا أو فلسفيا أو غيره وكذا الاهتمام بالأدب والأدباء كان من السمات البارزة أيضا فى الصحافة القرائية بمصر بما كان يخدم اليهودية واليهود ويحافظ قدر الامكان على العلاقة الودية بينهم وبين المجتمع المصرى الذى يعيشون بينه وقد

برز من اليهود القرائين عدد لابأس به من الكتاب والأدباء استطاعوا بما أتيح لهم من حرية الكلمة والنشر أن يأخذوا طريقهم نحو الشهرة وعلى رأسهم مراد فرج المحامى.

الجانب الآخر :

فاذا تركنا طائفة القرائين وما أحدثته صحافتها فى فكر اليهود بمصر ، وانتقلنا الى الجانب الآخر ونعنى به بقية جمهور اليهود فى مصر متتبعين تاريخ أنشطتهم فى المجالات المختلفة وخاصة مجال الاتصال الجماهيرى وتقف الصحافة على رأسه لوجدنا أن هؤلاء قد أصدروا خلال الفترة من أواخر القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين عدة صحف ومجلات بلغات مختلفة منها العربية والعبرية والفرنسية . وكانت هذه الصحف والمجلات ميدانا خصبا لبث مختلف الآراء المعتدلة منها والمتطرفة ومن الصحف التى ظهرت فى هذه الفترة :

أولا : مجلة (أبو نظارة) زرقا :

وتلك صحيفة هزلية هادفة أصدرها يعقوب صنوع فى مصر عام ١٨٧٧ ، وقد حدد صاحبها الهدف من اصدارها فى عددها الأول حيث ذكر باسلوبه الساخر أنه كما كان لكل مائدة فاكهة تخفف ثقل الاغذية كذلك لابد لموائد العقول من فاكهة تخفف عن العقل أتعابه ... فمن أجل هذا رأينا أن ننشر جرنالا يشمل على ذكر الوقائع بوجه يزيل عن النفوس بؤسها ، ويريحها من أتعاب احساساتها على أنه ليس الغرض منه مجرد الضحك بل الاشتمال على الحكم والمواعظ الحسنة. (١)

وقد حرص يعقوب صنوع أن يحقق الهدف من هذه المجلة لدى القراء وذلك عن طريق تقديم المادة الفكاهية لا لمجرد التسلية والفكاهة فقط وانما بهدف النقد الاجتماعى البناء وتبصير المجتمع بما يدور فى ساحته سواء على الصعيد السياسى أو الاجتماعى ، ولهذا نجده ينشر فصولا تمثيلية ناقدة للحياة السياسية والاجتماعية فى مصر ، وخلق شخصيات رمزية أجرى على لسانها محاورات توضح الى حد كبير مدى الظلم

---

١) د. ابراهيم عبده : أبو نظارة ص ٤٢ . مكتبة الآداب ، ١٩٥٣م.

والعبث بحياة الافراد فى عهد الخديوى اسماعيل ، الأمر الذى تنبه اليه الخديوى واعتبر ذلك هجوما عليه أدى فى النهاية الى غلق المجلة ونفى صاحبها خارج مصر . الا أنه رغم ذلك ورغم معيشته فى باريس بعد نفيه لم يتوقف وواصل اصدار المجلة باسماء متعددة مثل : رحلة أبى نظارة ، أبو نظارة لسان حال الامة المصرية الحرة ... الخ.

وهنا يمكن التساؤل ، ما الذى كان يهدفاليه يعقوب صنوع من هذا العمل ؟ هل الكسب المادى ؟أم المساهمة فى التخفيف عن الشعب من عناء ماقاساه من سياسة الخديوى ؟ أم المشاركة فى العمل الوطنى المستعرفى ذلك الوقت ؟ يذكر البعض أن اصدار يعقوب صنوع لهذه المجلة يعتبر باجماع المؤرخين للصحافة المصرية فاتحة عهد الصحافة الفكاهية فى مصر ، وعلامة بارزة فى طريقها .[1] ويقولون انموقف يعقوب صنوع من العمل الوطنى قد انقسم المؤرخون ازاءه الى فريقين فمنهم من اعتبره وطنيا قاوم ضراوة الظلم واعلن معارضته للاحتلال الاجنبى بكافة صوره ، وقال هؤلاء انه فى مجال الحركة الوطنية لايمكن انكار مساهمة بعض الافراد فى هذه الحركة وفى النشاط المستمر المعادى للحكام وسلطات الاحتلال وايقاظ الوعى القومى لدى غالبية المصريين ، وأرجعوا تكوين الرأى العام فى مصر الى عاملين هامين الاول جمال الدين الافغانى وتلميذه محمد عبده وما أحدثا من فكر ثورى لدى المصريين ، وتبصير الشعب بحقوقه وواجباته والثانى مجلة (أبو نظارة) ليعقوب صنوع اليهودى بما كانت تتضمنه من نقد سواء للسلطة المصرية أو القائمين عليها أو لسلطة الاحتلال البريطانى يدل على ذلك حرص الناس على اقتنائها بأى وسيلة.[2]

---

١) عادل أمين الصيرفى : صحافة الفكاهة وصحافييها فى مصر منذ نشأتها حتى سنة ١٩٢٥م . . رسالة ماجستير مقدمة لآداب القاهرة ١٩٧٢ .

٢) أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن . ج ١ ص ١٠٧-١١٠ ، مطبعة مصر ١٩٣٤م.

ومع ذلك فقد كان هناك فريق آخر لايعتبر صحيفة أبي نظارة سوى وسيلة لتكسب صاحبها وارتزاقه وانه كان يخدم بذلك مصالح دول أجنبية والغريب أنهم يستدلون على ذلك بالتجائه الى فرنسا عقب نفيه وذهبوا الى أبعد من هذا وبناء على يهوديته قالوا انه من مؤيدى الحركة الصهيونية ولانعتقد ذلك فالرجل قد قاسى الكثير فى سبيل رفع المعاناة عن نفسية هذا الشعب . وكونت انتقاداته الهزليه والفكاهية مع فكر جمال الدين الافغانى ومحمد عبده جبلا أدى دوره الوطنى ببراعة .

وعلى أية حال فنحن نعتبر هذه الصحيفة أول صحيفة يصدرها يهودى مصرى فى القرن التاسع عشر بمصر وانها تبرز ظاهرة مؤداها أن اليهود فى هذه الفترة كانوا يعتبرون أنفسهم بالدرجة الاولى مواطنين مصريين يحسون ويشعرون بما يجرى على أرض مصر من أحداث بصرف النظر عن المعتقد الدينى الذى كان يعتنقه كل منهم ، وانه وان كانت لدى البعض منهم نزعات عنصرية أو جنسية فهى بلا شك لم تكن ذات فاعلية فى تلك الفترة بالذات.

بعد هذه المجلة ظهرت فى مصر مجلات أخرى منها " الكوكب المصرى " وقد صدرت عام ١٨٧٩ لصاحبها موسى كاستلى صاحب المطبعة الكاستليه بحارة اليهود ، وبعدها بفترة طويلة أصدر موسى كاستلى أيضا صحيفة أخرى أسماها " الميمون " وقد أجمع المؤرخون أن الهدف من هاتين الصحيفتين - كان مجرد الكسب المادى فقط اذ لم تتميزا بشئ ولم تساهما فى تحقيق أية أهداف معينة .

وفى عام ١٨٨٩ أصدر فرج مزراحى صحيفة الحقيقة التى يقال عنها انها سارت فى ركب الاحتلال البريطانى وكانت تحاول البعد عن الخوض فى المسائل السياسية وابدت اهتماما خاصا بالمسائل اليهودية سواء داخل البلاد أو عن طريق نشر أخبار يهود العالم ، وكانت تدعو باستمرار الى العناية بتعليم اللغة العبرية والاهتمام بذلك خاصة لدى أطفال اليهود حتى يشبوا وقد تعرفوا الى لغة الأجداد ، اللغة المقدسة التى كتبت بها التوراة .

وفى عام ١٨٩٠ صدرت مجلة باسم " نهضة اسرائيل " ولم يكن لها ترخيص رسمى وتعتبر هذه المجلة من وجه النظر اليهودية أول مجلة متخصصة فى الشئون اليهودية بمصر اذ كانت دائبة على نشر الابحاث والمقالات التى تدور حول الأمور الدينية اليهودية ، ويبدو أنها كانت أبحاث تنحو نحو التطرف مما أثار مخاوف الحاخام من ذلك ، وطالب باغلاقها فأغلقت [١] ولم تكن قد استمرت طويلا . وهذه الصحف الثلاث لم يكن لها على مايبدو تأثير ملموس فى الأوساط اليهودية المصرية بدليل عدم استمرارها فى الصدور .

المجلة الصهيونية :

منذ بداية القرن العشرين اشتد ساعد الحركة الصهيونية خارج مصر وتوالت أنشطتها وفى داخل مصر يعتبر بعض الباحثين أن تاريخ الصحافة الصهيونية يرجع الى عام ١٩١٧ عندما أسست الجالية اليهودية أول جريدة لها باللغة الفرنسية وهى جريدة " النهضة اليهودية " التى استمرت لمدة ثلاث سنوات [٢]. وان كانت قد سبقت هذه الجريدة جريدة أخرى صدرت فى الاسكندرية باللغة الفرنسية أيضا تسمى " الرسول الصهيونى " كانت تحمل فى طياتها تأثيرا واضحا بمبادئ الحركة الصهيونية ، واعقبها فى عام ١٩١٢ مجلة أخرى تسمى " مجلة مصر الاسرئيلية " تصدر بالفرنسية كذلك عن طريق " جماعة أنصار الثقافة العبرية ".[٣] استمرت حتى عام

---

١) سامى عزيز / الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال البريطانى . ص ١٩٤ . دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ١٩٦٨ . القاهرة .

٢) أحمد محمد غنيم ، وأحمد أبو كف : اليهود والحركة الصهيونية فى مصر . ص ٤٤ . دار الهلال ١٩٦٩ .

٣) المصدر السابق .

١٩١٨ وهاتان المجلتان الأخيرتان كانتا تصدران بمدينة الاسكندرية ، ويبدو أيضا انهما لم يؤثرا كثيرا فى الفكر اليهودى بمصر .

وفى أعقاب صدور وعد بلفور بدأ الفكر الصهيونى يكشف عن نفسه بوضوح تام وبدأ اليهود الوافدون على مصر يكشفون عن أنفسهم ومدى اعتناقهم لهذا الفكر الصهيونى ، وبعد توقف جريدة النهضة اليهودية ظهرت " المجلة الصهيونية " لتأخذ مكان جريدة النهضة اليهودية ولتكون بحق أول جريدة تنطق صراحة بلسان الصهيونية العالمية ، وقد صدرت هذه الصحيفة فى عام ١٩١٨ متخذة من نجمة داود شعارا لها داعية الى مادعت اليه الصهيونية من خلق وطن قومى لليهود فى فلسطين أرض الآباء والأجداد يتحدث فيه اليهود بلغتهم العبرية التى لابد من الاهتمام بها وتعليمها للنشء ، وذلك حتى يحققوا لأنفسهم بداخل هذا الوطن الحرية والعدالة ، وليجعلوا من القدس قلب اليهودية النابض[1] وقد صدرت المجلة تحت اشراف المحامى الصهيونى " ليون كاسترو "[2] الذى كانت له يد طولى فى تأسيس ؛ أول تجمع صهيونى فى مصر .

---

١) انظر عدد المجلة الصهيونية الصادر فى ١٩١٨/١/١١ .

٢) ليون كاسترو :

يهودى الدين صهيونى النزعة ، ولد فى أزمير عام١٨٨٤م سافر الى باريس للدراسة هناك وحصل على دبلوم المعلمين سنة ١٩٠٢ عاد بعدها الى تركيا وعمل فيها الى عام ١٩٠٦ حيث رجع ثانية الى باريس ليحصل منها على ليسانس الحقوق عام ١٩١١ م ، ثم جاء الى مصر وعمل فى المحاماة وأسس أول منظمة صهيونية فى مصر عام ١٩١٧ كما انشأ فرعا للصندوق القومى اليهودى فى مصر أيضا قاصدا من ذلك جمع التبرعات والهبات من يهود مصر لشراء الأراضى فى فلسطين . وأقام كذلك المحفل اليهودى الكبير لمنطقة مصر والسودان ، والمسمى " بنى بريت " בני ברית " بشارع عدلى بالقاهرة ليكون نواة لجميع المحافل اليهودية وتوجيهها . أعاد كاسترو تشكيل فرع المنظمة الصهيونية فى مصر عام ١٩٤٣ تحت اسم " الاتحاد الصهيونى المصرى " وشعاره هو نفس الشعار القديم وهو نشر الاهداف الصهيونية بين الجماهير للمساعدة فى خلق وطن قومى . وقد تفرعت عدة لجان عن هذا الاتحاد وأهمها : لجنة الشباب ===

ويبدو أن الحرية التى منحت لليهود المصريين بصفة عامة فى مجالات شتى كالحرية الدينية والاجتماعية وحسن الضيافة الذى قوبل به الوافدون اليهود على مصر من مختلف أنحاء العالم يلتمسون الأمن والامان ويبحثون بالدرجة الاولى عن المأوى ثم المأكل فاستقبلهم يهود مصر وشعبها وحكوماتها وهيأوا لهم سبل الحياة الكريمة التى لم يتعودوها فى البلاد التى هاجروا منها أو ولدوا فيها كل هذا جعلهم يعتقدون أن مصر لابد أن تكون مركزا هاما لدراسة مشاكل اليهود وأولها محاولة الحصول على وطن قومى فى فلسطين ، وأعلن كاسترو فى " المجلة الصهيونية" أن للرأى العام المصرى قدرته بين الدول العربية والشرقية وغيرهما. ومن هنا لابد من العمل على جذب هذا الرأى العام الى جانب الصهيونية ، مع عدم الاستغناء أبدا عن هذا التجمع الهائل من اليهود المصريين الذين لهم مكانتهم الاجتماعية والمالية وهؤلاء يسهل مشاركتهم مشاركة فعالة فى هذه الحركة عن طريق تقديم المساعدات المادية للحركة الصهيونية والقائمين عليها بمصر . وكان هذا هو الاطار العام الذى تبنته مجلة الصهيونية وصاحبها ليون كاسترو الذى ترك الاشراف على المجلة لجاك موصيرى نظرا لانشغاله بالاشراف على فرع المنظمة الصهيونية الذى انشأه بمصر وقد استمرت هذه المجلة لمدة تقرب من الخمس سنوات.

مجلة اسرائيل: ١٩٢٠-١٩٢٣

فى نفس الوقت الذى كانت تصدر فيه المجلة الصهيونية تحت اشراف ليون كاسترو فى القاهرة كانت تصدر أيضا مجلتان الاولى هى مجلة اسرائيل وكانت

== ويشرف عليها حييم زاديكوف ، لجنة الدعاية ويشرف عليها ليون بيفاس لجنة الصندوق التأسيسى ويشرف عليها ايزاك اميل ونلاحظ أن هذه الاسماء كلها ليست من اليهود الذين ولدوا وتربوا فى مصر وانما كلها أسماء يهودية لاجئة أو مهاجرة. ومن الغريب أن كاسترو كان أحد أعضاء حزب الوفد وكسب ثقة الزعيم سعد زغلول حتى انه رافقه فى مفاوضاته فى لندن (انظر : أحمد أبو كف : اليهود والحركة الصهيونية ، موسوعة المفاهيم والمصطلحات د.عبدالوهاب المسيرى).

تصدر فى القاهرة والاسكندرية فى نفس التوقيت وهو صباح كل خميس . وقد عمد رئيس تحريرها والمشرف عليها وهو الدكتور " البير موصيرى" أحد أفراد أسرة موصيرى الغنية المعروفة والتى تمتلك وحدها بنكا باسمها . عمد البير موصيرى الى اصدار هذه المجلة بلغات ثلاث هى : العربية والعبرية والفرنسية استمرت الطبعة العربية للمجلة فترة طويلة مايقرب من أربعة عشر عاما ، كذلك الطبعة الفرنسية التى مازالت تصدر حتى بعد وفاة صاحبها فنظرا لانتشارها المستمر واقبال القراء عليها واصلت أرملته اصدارها بعده لمدة عدة سنوات. أما الطبعة العبرية من هذه المجلة فكانت أقل حظا فى الاستمرار من اختيها العربية والفرنسية ولهذا مالبثت أن توقفت عن الصدور لأسباب أهمها قلة الذين يجيدون استخدام العبرية وقراءتها فى يهود مصر [1] الذين كان لسانهم العربية بالدرجة الاولى ثم الفرنسية ولم تكن العبرية باللغة المستخدمة في الاوساط اليهودية المصرية اللهم الا فيما يتعلق بالامور الدينية الامر الذى جعل اصدار صحيفة باللغة العبرية بهدف انتشار اللغة وتعميمها لايأتى بالثمرة المرجوة منه .

ونظرا لان " مجلة اسرائيل" تعتبر من أوائل الصحف اليهودية الناطقة بالعربية لهذا كان لها دورها فى العمل على تأييد ماتنادت به الحركة الصهيونية فى العالم أجمع من جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود وقد بذل صاحب المجلة " البير موصيرى " كل مالديه فى سبيل انجاح الحركة الصهيونية ، وموصيرى اسبانى الاصل مصرى المولد ومن الذين بهرتهم نداءات هرتسل ومقالاته ولهذا كان من المتحمسين لهذه الحركة وانشأ فى باريس أول جمعية صهيونية أطلق عليها اسم " كاديما " [2] وكانت تصدر أسبوعية مكتوبة بخط اليد وهى

---

١) مسألة اصرار اليهود فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر على اقحام اللغة العبرية وفرضها على المجتمع اليهودى دون أن تكون له الدراية العلمية والعملية بها مسألة قوبلت بالفشل فقد حدث نفس الشئ الذى حدث مع الطبعة العبرية لمجلة اسرائيل التى توقفت - حدث نفس الشئ فى بداية عهد الاستنارة عندما أصدر جبل الجماع صحيفة "המאסף" الجامع أو الحاوى " والتى توقفت أيضا عقب صدورها بفترة وجيزة نظرا لعدم اقبال الجمهور عليها لانهم لم يكونوا يعرفون العبرية أو يجيدونها .

٢) كاديما : اسم اطلق على أوائل المنظمات الصهيونية التى أسسها سمولنسكين ==

اشبه الى النشرة الاسبوعية وعندما جاء مصر ألف جمعية صهيونية فى القاهرة وظل يعمل فى خدمة الصهيونيةويدعو اليها هادفا الى المساهمة فىانجاح فكرة الوطن القومى لليهود فى فلسطين واستمر فى ذلك الى أن توفى فحملت أرملته عبء العمل لفترة من الزمن لم تتمكن بعدها من الصمود نظرا للعقبات العديدة التى واجهتها والتى أشارت اليها فى العدد السابع والأربعين من المجلة عندما ذكرت أنه لم يكن الغرض من انشاء (اسرائيل) السعوراء منفعة مادية زائلة ، أو الترويج لرأى حزب أو جماعة وانما انشئت صحيفة (اسرائيل) لأننا أحسسنا بالحاجة الىصوت يهودى يرتفع للدفاع عن الشئون اليهودية ، واطلاع الشرقيين على حقيقة الحالة فى فلسطين واظهار نوايا اليهود الحسنة من عودتهم الى فلسطين ورغبتهم الصادقة فى التعاون مع العرب على النهوض بهذا الوطن المشترك وتجديد العصور الذهبية الغابرة التى اشترك فيها اليهود والعرب على خدمة الفكر الانسانى... وكان لابد لهذا كله من لسان يهودى عربى..." [1] ثم ناشدت زعماء اليهود فىمصر خاصة وفى بلاد الشرق عامة العمل على معاونتها فى سبيل استمرار الجريدة لانها ضاقت بالخسائر المادية بينما تفوقت النسخة الفرنسية وتقدمت طبعتها ويعلل البعض سبب ذلك التفوق الى أن اليهود لم يكونوا يرغبون فى اصدار صحفهم باللغة العربية خوفا من تحريكالشعور ضدهم على الرغم من أنهم يعلمون جيدا كيف أن اللسان العربى قد قدمخدمات جليلة ليهود الشرق ويبدو أن هذه الصحيفة كما هو واضح فى سجلات ادارة المطبوعات بالداخلية [2] انها كانت تطبع وتوزع دون ترخيص اذ ليس لها ملف موجود وربما يكون قد فقد اذ لايمكن أن تستمر صحيفة فى الظهور طوال هذه الفترةدون أن يكون لها ترخيص بذلك.

== سنة ١٨٨٢ والتى أبدت هرتسل و ساعدته ، ولهذا اتخذ البير موصيرى نفس الاسم واطلقه على المنظمة التى كونها فى باريس (انظر : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية) .

١) مجلة اسرائيل : العدد ٤٧ .

٢) سهام عبدالرازق : ص ٣١ .

أما المجلة الثانية التى عاصرت مجلة " اسرائيل " فهى " مجلة الفجر" التى أصدرها اليهودى الصهيونى لوسيان سكيوتو[١] عام ١٩٢٤ ورأس تحريرها والاشراف عليها حتى عام ١٩٣١ حيث تولاها منذ هذا التاريخ جاك مالح زميل لوسيان ، وقد صا ت هذه المجلة بعض المتاعب كان أهمها المتاعب المادية حتى انها كانت مهددة بعدم الاستمرار فى الظهور لولا أن بعض أعضاء محفل بنى بريث أولوها اهتماما واجتمعوا كثيرا للتفاوض فى أمرها الى أن استقر الرأى على تدعيمها ماليا وأدبيا ليكتب لها الاستمرارية المطلوبة منها لتحقيق أهداف عديدة منها بث مبادئ الحركة الصهيونية والهجوم على أعداء السامية ويلاحظ أنه خلال الحرب العالمية الثانية تكونت فى مصر جمعية يقال[٢] لها الجمعية المضادة لأعداء السامية اعتبرت المجلة لسان حال لها فى أى وقت تشاء .

ولم تكن القاهرة وحدها هى مسرح النشاط الوحيد للفكر اليهودى المصرى أو الوافد بل كانت الاسكندرية أيضا مركزا من مراكز النشاط اليهودى فى القرن العشرين ففى عام ١٩٠١ كانت هناك مجلة صهيونية تصدر باللغة الفرنسية ، وفى عام ١٩١٢ أصدرت جماعة أنصار الثقافة العبرية مجلة استمرت لمدة ست سنوات والغريب أنها رغم صدورها عن أنصار الثقافة العبرية الا أن لغتها كانت الفرنسية وفى القاهرة أيضا ظهرت مجلة "التليفون" وهى مجلة لاقيمة لها سواء من الناحية الفكرية والادبية أو الناحية السياسية فهى وان اعلنت أنها مجلة أدبية فنية انتقادية مصورة الا أنها لم تكن واحدة فقط منها وكانت تصدر باللغتين العربية والفرنسية ولهذا توقفت بعد العدد الثانى مباشرة .[٣]

---

١) لوسيان سكيوتو :

يهودى تركى أصدر فى استانبول عام ١٩٠٨ مجلة "الفجر" وظلت تصدر هناك باستمرار لمدة أحد عشر عاما أى الى مابعد الحرب العالمية الاولى ثم توقفت هاجر سكيوتو الى مصر واستقر بها ابتداء من عام ١٩٢١م وفى عام ١٩٢٤ عاود اصدار هذه المجلة وبنفس اسمها السابق "الفجر" وادار شئونها بنفسه لمدة ست سنوات الى أن عين فى وظيفة مدرس بالحكومة فترك رئاسة التحرير لزميل له .

٢) أحمد محمد غنيم واحمد أبوكف . اليهود والحركة الصهيونية فى مصر ص ٤٥ .

٣) سهام عبدالرازق : صحافة اليهود العربية ص ٣٩-٤٠ .

الصوت اليهودى :

شهد العقد الثالث من القرن العشرين تطورا ملحوظا فى مسار الحركة الصهيونية فى مصر وفى حياة اليهود المصريين بصفة عامة . وكان من أبرز ملامح هذا العقد نزول الصهيونية بثقل أكبر وسط جماهير اليهود المصرية الذين لم يكونوا حتى ذلك الوقت بشاركون عن اقتناع وفكر راسخ فى الحركة الصهيونية ، ويجب أن نفرق هنا بين اليهودى المصرى المنبت والنشأة وبين اليهود الوافد المهاجر الى مصر لهدف أو أكثر والذى كان ناقلا لمبادئ الصهيونية الى مصر ومؤثرا فى اليهودى المصرى ومشكلا عامل ضغط عليه خاصة فى العقد الرابع من هذا القرن على ماسيأتى ذكره مما يجعلنا نتحفظ بعض الشئ تجاه صهيونية اليهودى المصرى بحق.

فى أوائل هذا العقد ظهرت فى الاسكندرية أكبر مجلة صهيونية سافرة يديرها شئونها أحد غلاة الصهيونيين وهو البير ستراسلسكى " كانت تسمى مجلة " الصوت اليهودى " وكانت تصدر باللغة الفرنسية .

ويبدوأن هذه المجلة كانت تعتمد فى تمويلها على ماتحصل عليه من كبار أغنياء اليهودبالاسكندرية وعلى تشجيع من حاخام الاسكندرية الاكبر " دافيد براتو ".(١)

---

١) يذكر بعض المؤرخين اليهود أن نظام الحاخامين اليهود فى مصر كان يعتمد اعتمادا كبيرا على الحاخامين الوافدين اما من روسيا أو من تركيا خاصة لدى طائفة اليهود القرائين وقد ذكر البعض أسماء العديد من هؤلاء الحاخامين مبينا الموطن الذى وفدوا منه ،منهم الحاخام " طوبيان سمحاليفى ببوفيتش " وهو روسى الاصل استدعته الطائفة اليهودية القرائيه فى مصر ليشغل منصب الحاخام الاكبر للطائفة فى يناير سنة ١٩٣٤ واستمر فى منصبه مايقرب من اثنين وعشرين عاما تمتع خلالها بحب وتأييد القرائين وكذا احترام وتقدير الربانيين والسلطات المصرية وتوفى بمصر عام ١٩٥٦ .

انظر : תולדות היהדות הקראית , ע" 159 — 161 .

وظلت " الصوت اليهودى " بقيادة وتوجيه الصهيونى المتعصب "البير ستراسلسكى " تصدر فترة طويلة وتعاون معه مجموعة من الصهاينة الوافدين أيضا على انجاح هذه المجلة وان كنا نعتقد أن صدورها فى طبعة فرنسية فقط ربما كان عاملا من عوامل عدم تأثيرها الفعال الا فى أوساط معينة من اليهود وهم الذين سبق أن أطلقنا عليهم تعب أصحاب الامتيازات ولعل هذه الطبقة بالذات كانت هدف ستراسلسكى لحاجته فى البداية الى الدعم المادى خاصة من أناس لهم مكانتهم الاجتماعية فى الاوساط العامة المصرية بالذات مما يسهل عليه أمورا كثيرة .

---

(١) البيرستراسلسكى :

يهودى صهيونى من أصل روسى هاجر والداه من روسيا ربما هربا من مذابحها واضطهاد اليهود فيها ، وقد ولد فى مصر عام ١٩٠٢ وتعلم فى مدارس الطائفة اليهودية بها حتى حصل على الشهادة الابتدائية ، ثم ترك التعليم واشتغل بالصحافة الفرنسية فى مصر فى نفس الوقت الذى كان أحد رواد الصهيونية بها .

سافر ستراسلسكى الى باريس لا تمام الدراسة فالتقى هناك باستاذه فى الصهيونية والتطرف جابوتنسكى الذى جذبته أفكاره وشخصيته فأصبح من أخلص تلاميذه ، وعندما عاد الى مصر عام ١٩٢٩ بدأ فى تجميع العناصر المتطرفة من اليهود خاصة من الشباب وعاونه فى ذلك أبناء عائلة موصيرى المعروفة بميولها وتأييدها للحركة الصهيونية وفى عام ١٩٣٣ انتخب البير ستراسلسكى مندوبا عن حزب التصحيحيين المنبثق عن الصهيونية العالمية فى المؤتمر الصهيونى الذى عقد فى براغ .

وبتوجيه من أستاذه عاد الى باريس وأسس فيها جريدة بعنوان " صوتنا " كانت معادية للعرب ونددت بالسياسة الصهيونية المعتدلة وعندما انفصل جابوتنسكى عن المنظمة الصهيونية العالمية عام ١٩٣٥ وأسس المنظمة الصهيونية الجديدة عاد ستراسلسكى الى مصر ليستأنف نشاطه الصهيونى تابعا لاستاذه .

فى عام ١٩٣٦ انشأ فرعا آخر للمنظمة فى الاسكندرية . فى ١٩٣٧ جاء جابوتنسكى للاسكندرية والتقى به واعلن الاثنان ضرورة اقامة دولة يهودية فى فلسطين أولا ثم الحصول على موافقة العرب بعد ذلك وفى عام ١٩٤٢ هرب من مصر ثم عاد اليها بعد ذلك الى أن صدر الأمر بطرده عقب اغتيال اللورد موين فى نوفمبر عام ١٩٤٤م .

الشمس :

لم تستطع " الصوت اليهودى " الفرنسية اللغة أن تسد حاجة القارئ اليهودى العادى بمصر ولهذا عمد اليهود الى اصدار مجلة " الشمس " الناطقة باللغة العربية حرصا منهم على ايصال الكلمة الى كل يهودى فى مصر . ومن هذا المنطلق صدرت هذه المجلة عام ١٩٣٤ ورأس تحريرها الصحفى اليهودى سعد مالكى الذى كان يرأس تحرير مجلة "اسرائيل" خلفا لصاحبها " البير موصيرى" بعد وفاته كما أنه كان يعمل مديرا لمدارس جربن الاسرائيلية . وعلى الرغم من أن الغاية من اصدار هذه المجلة قد أعلنه سعد مالكى فى عددها الاول والذى يتلخص فى العمل على الدفاع عن الفضيلة والاخلاق لسلامة المجتمع المصرى والشرقى. كما تعمل أيضا على العناية بالطائفة اليهودية لعلاج ماقد يكون من قصور لانجاح مؤسسات الطائفة ، والحفاظ على كيان اليهودى الشرقى ، وتعبيرا عن آراء كل اليهود تقول على الرغم من تلك المبادئ التى أعلنت فانها لم تنفذ لاننا نذكر أن سعد مالكى نفسه قد سبق وقطع على نفسه عهدا عقب وفاة البير موصيرى بالسير فى نفس الطريق الذى كان يسير فيه البير موصيرى فى تحرير مجلة "اسرائيل" ذات النزعة الصهيونية وتلاحظ أنه قد نفذ ذلك اذا اطلعنا على الاعداد الصادرة ابتداء من عام ١٩٣٥ . ولهذا نجد أنها لاقت رواجا بين اليهود لعربيتها أولا ولصهيونيتها ثانيا وقد أيدها كثير من كبار الشخصيات اليهودية ذات المكانة الاجتماعية أو الدينية والادبية أمثال سالمون ملكاه صاحب كتاب المختار فى تفسير سفر التكوين وحاخام أكبر السودان وكذلك اسرائيل ولفنسون الاستاذ بكلية دار العلوم سابقا وغيرهم كثيرون حتى انهم طالبوا بتحويلها الى جريدة يومية بدلا من أسبوعية . وفى سبتمبر عام ١٩٣٥ وبعد أن أصبح للشمس مطبعة خاصة تطبع فيها اصدرت ملحقا شهريا لها باللغة الفرنسية باسم " كاديما " . ولم تكن الشمس قاصرة فقط على الكُتّاب اليهود فى مصر وحدهم ، بل وسعت النطاق فاستعانت أولا بكتاب من المسلمين فى مصر فى محاولة لاظهار نفسها بمظهر المنفتح على الفكر والثقافة العربية الاسلامية ، وكذا استعانت بكتاب من اليهود فى فلسطين الذين

كان منهم موسى شاريت الذى تولى رئاسة الوزارة الاسرائيلية بعد ذلك فى عام ١٩٥٤-١٩٥٥ وقد كان اسمه فى ذلك الوقت موسى شرتوك . والغريب أن المسئولين فى مصر لهم يهتموا بالخط الصهيونى الذى الترمته المجلة ابتداء من عام ١٩٣٤ الى مابعد قيام الدولة سنة ١٩٤٨ وحين قدمت الشكاوى فى هذه المجلة أصدرت الرقابة العامة قرارها " بتعطيل " الشمس " اعتبارا من١١/٦/١٩٤٨م ، ومصادرة جميع النسخ الموجودة .(١)

التسعيـــــرة :

لعل آخر الصحف اليهودية التى ظهرت فىمصر هى مجلة التسعيرة والتى أصدرها صاحبها يعقوب مزراحى الذى كان يعرف باسم البرت مزراحى . وقد صدرت هذه الصحيفة فىيونيو ١٩٤٤ واعلنت أنها مجلة سياسية أسبوعية جامعة تهتم بنشر تسعيرة المواد التموينية وتهدف من ذلك الىتسهيل تنفيذ ماتقضى به الاحكام العسكرية خلال الحرب الثانية من ضرورة ابراز التسعيرة الرسمية فى واجهة المحال والمتاجر . كما أعلن صاحبها أنه سيوقف صحيفته لخدمة الوطن وسيكون شعارها الصراحة فى القو ل ومواجهة الحقائق بوضوح . وقد حاول أن يخفف من هيئة المجلة ويدخل فيها العنصر الفكاهى غير أنه لم يستمر على ذلك ، واهتم بنشر الاعلانات التجارية خاصة من المحلات اليهودية مما عمل على زيادة مكاسبه فانشأ عام ١٩٤٦ داراً للنشر هى وكالة مصر للصحافة .

ورغم مايبدو من اسمهذه المجلة والاغراض التى خصصت لها الا أن المتصفح للعديد من أعدادها والتى مازالت محفوظة يجد أنها قد أقحمت نفسهابجدية واصرارفى خوض معركةكبيرة لم تعلن عنها فىالبدايةوهى معركة الخوض فىالأمور السياسية فقد اقتحمت ميدان الجدل القائم حول الصهيونيةونشاطها وأساليبها فىمصر ، ومشكلة فلسطين وماتزعمه من ضرورة اقامةوطن قومى لليهود فيها ، واعلنت

---

١) سهام عبدالرازق . صحافة اليهود العربية فى مصر ص٥٦ .

منذ البداية معارضتها لتدخل يهود مصر فى مثل تلك الأمور التى هم فى غنى عنها وعليهم أن يتمسكوا بالمحافظة على استمرار العلاقة الطيبة بينهم وبين مواطنيهم من المصريين.(١) ولم تكتف بذلك بل اعلنت استنكارها لحركات العنف الصهيونية التى كان يقوم بها افراد العصابات الارهابيه أمثال ليون كاسترو واعوانه ، وستراسلسكى ووصفتهم بأنهم يلعبون بالنار التى لن تحرقهم وحدهم بل ستحرق اليهود فى مصر معهم.(٢) وشعر الصهيونيون بخطر هذا الاتجاه عليهم فمارسوا الضغوط على المجلة فبدأت فى التحول عن سياستها التى سارت عليها وأخذت تدافع عن اليهود المصريين.

وفى عام ١٩٥٠ ظهرت طبعة جديدة من جريدة " التسعيرة " باللغتين العربية والفرنسية وكانت الصفحة الاولى العربية تحتوى على موضوعات سياسية عامة بينما بقية الصفحات خصصت لاخبار الطائفة اليهودية ومقالات عن تاريخ اليهود . وبدأت كذلك فى نشر تصريحات لبعض القادة الصهاينة واستمرت فى الظ _ الى ما بعد قيام الثورة حيث توقفت فى ٢٦ مايو سنة ١٩٥٤م .

ملامح الفكر اليهودى المصرى :

فى هذه العجالة تتبعنا - قدر المستطاع - المسار التاريخ لليهود فى مصر . وباستثناء الفترة الأولى التى وفد فيها اليهود الى مصر منذ عهد يوسف عليه السلام واستقرارهم فيها الى ما كان من خروج الاغلبية العظمى منهم بمصاحبة موسى عليه السلام فرارا بدين التوحيد الذى بعثه الله به الى فرعون وقومه . وقد اعتبرنا من بقى منهم فى مصر ومن ولد لهؤلاء اليهود بعد ذلك يهودا مصريين لهم كافة حقوق المواطن المصرى ولهم دينهم الذى يؤمنون به وكان الفتح الاسلامى لمصر على يد عمرو بن العاص ، وكيف عامل أهل الذمة من النصارى واليهودى واعتبار الاسلام لهم أهل كتاب طعامهم حل للمسلمين وطعام

---

١) العدد العاشر فى ١٩٤٤/٨/١٩ .

٢) العدد ٣١ فى ١٩٤٥/١/١٣ .

المسلمين حل لهم ليس للمسلمين عليهم الا الايمان بدينه أو هى الجزية يدفعها القادر منهم مالم يأت أى منهم بما يسىء الى الاسلام والمسلمين . وتعايش اليهود وسط المجتمع الاسلامى على ماسبق أن ذكرنا لم يشعروا فيه بوحدة أو تنافر أواضطهاد أو ظلم اللهم الا فى تلك الفترات التى يعم فيها الظلم والتعسف الرعية كلها . وبدأ هؤلاء من منطلق الحرية الكاملة التى منحت لهم عقائديا واجتماعيا فى الانتاج الفكرى اليهودى فكيف كانت ملامح هذا الفكر اليهودى المصرى منذ بدأ الى العصر الحديث .

ان الفكر اليهودى فى العصر الوسيط فى مصر والذى نعتبر ابن ميمون هو حامل لوائه يعاونه شخصيات يهودية أخرى كان فكر يهودى المظهر اسلامى الجوهر والمنبع ، فمؤلفات موسى بن ميمون التى انتجها سواء فى الدين اليهودى وما يتعلق به أو فى الفلسفة اليهودية ، هذا الفكر كان يقوم على أساس ثقافة ابن ميمون وبيئته ونشأته الاسلامية فى الاندلس وما استوعبه من فكر وثقافة العرب المسلمين المعاصرين له هناك أو الذين سبقوه . وعندما هاجر الى مصر واستقر بها لم يكن قد انفصل فكريا عن البيئة الاسلامية الاولى التى تركت آثارها عليه ولهذا كانت مؤلفاته خاصة دلالة الحائرين تنحو نفس المنحى الذى سار عليه فلاسفة المسلمين قبله ، كما أن قواعد الايمان لديه تحمل فى طياتها تأثير علم الكلام والاصول العربى الاسلامى.[1] وعلى هذا فالفكر اليهودى فى العصر الوسيط بصفة عامة ، يعتبر بالدرجة الاولى ثمرة من ثمرات الفكر العربى الاسلامى فى مجالاته المتعددة الدينية ، واللغوية والادبية ، ويكفى أن نعلم أن هذا الانتاج الهائل الذى تركه يهود المجتمعات الاسلامية سواء فى مصر أو الأندلس أو بغداد كان يكتب باللغة العربية بحروف عبرية الأمر الذى يوحى بأن العبرية لم تكن لغة سائدة ومستخدمة حتى فى الأوساط اليهودية نفسها اللهم الا فيما يتعلق بالطقوس

---

١) انظر حول هذا الموضوع :

١- الفكر الدينى اليهودى للدكتور حسن ظاظا .
٢- اليهودية للدكتور محمد بحر .
٣- الاثر الاسلامى فى الفكر الدينى اليهودى للمؤلف .

الدينية فقط . وان كان بعض الباحثين يردد اليوم أن يهود العصر الوسيط قد ندموا على الكتابة بالعربية واعتبروا ذلك خطيئة ارتكبوها لاتمحى الا بترجمة المو'لفات من العربية الى العبرية ، معتمدا فى ذلك على ماتركه ابن ميمون من وصية لابنه يقول فيها : يابنى اننى اعرف الخطيئة التى ارتكبتها بحق شعبى واننى أصلى الى الله .. أن يعاد المقال الى أصحابه الشرعيين وان تترجم كتبى الى لغة اللسان المقدس " [1] وان كنا نعتقد أن موسى بن ميمون ربما كان يعبر بهذه الوصية عن معاناة يهود عصره لعدم قدرتهم استخدام اللغة العبرية التى هى فى المقام الاول لسانهم ولسان العهد القديم ، وحسرته على ماوصل اليه أمرهم ازاء لغتهم ، كما أنه حتى فى الحالات التى كان يتمكن فيها أى مفكر يهودى من الكتابة بالعبرية كان كثيرا مايتخلى عن ذلك لأن جمهور اليهود فى عصره لم تكن له مقدرة متابعة ذلك وتلك سمة واضحة فى يهود العصر الوسيط عامة وخير شاهد على ذلك ماتم العثور عليه من وثائق الجنيزا فى القاهرة وهى مكتوبة بالعربية . وعلى هذا فالسمة العامة للفكر اليهودى فى مصر فى العصر الوسيط انه فكر أخذ منابعه من الفكر الاسلامى بما يتناسب مع العقلية اليهودية .

فاذا تركنا العصر الوسيط وماسادفيه من تيارات سياسية وفكرية عاش فيها ، اليهود وانتقلنا زمنيا الى العصر الحديث نجد أن هناك مفاهيم جديدة وملامح قد تختلف فى جوهرها عما ساد العصر الوسيط . اذ بدأت طوائف اليهود فى تنظيم هيكلها العام سواء على الصعيد الداخلى داخل الطائفة الواحدة أو الخارجى بعلاقتها ببقية الطوائف الاخرى ومع السلطة . ومع نهاية القرن التاسع عشر ، وبداية العشرين بصفة خاصة ، وبتأثير من الظروف اليهودية العالمية بدأت ملامح جديدة فى الفكر اليهودى المصرى سواء من خلال ماأعلنته الصحافة اليهودية الصادرة فى مصر ، أو من خلال ماتركه يهود هذه الفترة من مو'لفات يمكن أن تلقى الضوء ولو من بعيد على مسار الفكرى اليهودى فى مصر .

---

(١) Menachem Ribalow: The Flowering of Modern Hebrew Literature P. 20. N.Y. 1959.

وقبل أن نبدأفي تحسس الملامح والسمات العامة التى كان عليها هذا الفكر فى مصر يجب أولا أن نفرق بين يهود مصر الذين نشأوا وتربوا فى مصر ومايتضمنه فكرهم وبين أولئك اليهود الذين وفدوا اليها ومايحملون من فكر ومبـــادئ ، سيطرت عليهم ووجهتهم ولم يوجهوها . وخير مايظهر هذا الفكر لنا بوضـــوح الصحافة التى صدرت فى مصر . وهذه الصحافة التى ظهرت فيمصر نوعان . النـــوع الأول : وهى الصحف المصرية التى تعبر بحق عن يهود مصر الحقيقيـــين لا المنتمين اليهـا بحكم المأوى ، ومعظم تلك الصحف كانت تصدر عن طائفـــة القرائين علىوجه الخصوص وان كان قد صدر مثلها عن الربانيين ولكنها كانـــت أقل عددا . أما النوع الثانى من هذه الصحافة فهى صحافة يهودية صهيونيـــة وافدة غريبةعلى أرض مصر وتقاليدها ، ونقصد بها تلك الصحف التى أشـــرف عليها أو رأس تحريرها مجموعة من اليهودالوافدينالهاربين وهؤلاء من الخطـأ نسبهم الى يهود مصر الذين تربوا فوق أرضها وشعروا بحسن الجوار فيها وأظلتهم سماحة الاسلام وتعاليمه التى لم تفرق بينهم وبين المسلمين فى المعاملـــة وان كانت هناك قلة قليلة ولدت فقط على أرض مصر الا أن أصلها تغلب عليهـــا فرضعت من ثدى الصهيونية فىالخارج ، وتربت بين أحضانها مع أنها تنسب مـــن حيث المولد فقط الىمصر ومن هؤلاء البير مو صبرى وستراسلسكى ، وسادوفسكى وغيرهم من الارهابيين الذين استغلوا يهود مصر وسخروهم لأهدافهم.

فاذا وضعنا فى الحسبان هذين النوعين من الصحف ، وأردنا أن نتحســـس ملامح الفكر اليهودى المصرى فىالعصر الحديث ، ومدى مواكبته لأحداث البـــلاد وظروفها فاننا نستطيع أن نقول أن هذا الفكر قد حمله العديد من المؤلفـــات الينا ، منها مؤلفات فىفروع اللغة والأدب ومؤلفات تعليمية خاصة بأبنـــاء الطائفة اليهوديةوحدها ومن الذين أسهموا بجهد ملحوظ فىالكتابة سواء كانـــت كتبا أو مقالات القرائى المصرى مراد فرج ، وهو من اليهود المصريين الذيـــن ولدوا وتربوا وعاشوا فيمصر وكانت له علاقة طيبةبأولىالامر فيها واشتهر بشعره الرقيق فيمجالات شتى لعل أغلبها كان شعر الحنين الى الأرض المقدسة وهيكلهـــا

وتراثها الدينى الذى يشكل بالنسبة له ولليهود رمزا دينيا عظيما ، وقد كتب مراد فرج مؤلفات كثيرة وترجم بعضها مثل كتاب "شعار الخضر" وهو كتاب فى الأحوال الشخصية لطائفة اليهود القرائين[١]، وقد ذكر المؤلف فى المقدمة أنه قام بهذا العمل لينتفع به القراء ون لاسيما الذين لايعرفون منهم العبرية أو يجيدونها وكثير ماهم[٢]، طالبا من هؤلاء أن لايهملوا العبرية فهى لغة الدين والعبادة والصلوات منبها لهم الى أن اهتمامهم بالعبرية لايعنى أبدا ترك العربية وانما يكون ذلك بالجمع بين اللغتين والتمكن منهما ولاسيما العربية[٣] ونجده يختتم تلك المقدمة بآية قرآنية فيقول: "وعلى كل حال فرجائى حسن الظن بى وأنى ماقصدت الا خدمة العلم شأنى فى سائر مالى من المؤلفات ، ولهذا فاذا مر القارئ الكريم بهفوة أو كبوة أطلعها للقصد نفسه والله لايضيع أجر من أحسن عملا ".[٤] واذا كان مراد فرج قد ترجم هذا الكتاب فى مجال الفكر الدينى التشريعى لليهود فانه قد كتب مؤلفات اخرى فى مجالات أدبية وقانونية كما نقل سفر أيوب شعرا موزونا مقفى ونشره فى كتاب بعنوان " ايوب "طبعه عام ١٩٥٠ بمطبعة العالم العربى بالقاهرة . والكتاب الى جانب أنه نظم شعرى من بحر الرجز كل فقرة بيتا أو بيتا ونصفا أو بيتين أو ثلاثة أبيات وقليل ماهو موحدا اللفظ بمعناه فى اللغتين بقدر ما احتمله النظم وسمح به التعبير[٥] الى جانب ذلك فهو يشرح المضمون ويخلص

---

١) فى مقدمة كتاب " شعار الخضر" كتب مراد فرج أن هذا الكتاب ترجمة لأجزاء من كتاب "אדרת אליהו" "أديرت الياهو" لمؤلفه العلامة "الياهو بشياص "الذى كتبه فى أدرنه فى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى وكانت لغته العبرية ، " وشعار الخضر" هو العنوان الذى اختاره مراد فرج لهذا الكتاب الذى طبع فى مصر بمطبعة الرغائب فى ابريل ١٩١٧ .

٢) شعار الخضر . المقدمة ص ٤ . مطبعة الرغائب . ١٩١٧ .

٣) شعار الخضر . ص ٤ - مطبعة الرغائب ١٩١٧ .

٤) شعار الخضر . ص ٥ .

٥) أنظر مقدمة " أيوب " لمراد فرج . مطبعة العالم العربى القاهرة ١٩٥٠م.

الى العبرة والدرس المرجو منه . وفى مجال اللغة وضع مراد فرج كتابه " ملتقى اللغتين العبرية والعربية فى جزءين وهو كتاب يدخل فى نطاق الدراسات المعجمية المقارنة . ولم يكن مراد فرج الوحيد الذى وضع بصماته فى الفكر اليهودى المصرى بل كانت هناك مؤلفات كثيرة منها تاريخ اللغات السامية لاسرائيل ولفنسون وكذلك له " موسى بن ميمون حياته ومصنفاته ".

وعلى أية حال فقد ساهم هؤلاء كثيرا فى وضع لبنات للفكر اليهودى الذى كانت أهم سماته أنه فكر يدور فى فلك اليهودية دينيا وعقائديا مع عدم اهمال التراث الأدبى سواء كان عبريا أو عربيا فمراد فرج له ديوان من الشعر العربى الرقيق كما ذكرنا ، وكتب عن الشعراء العرب من اليهود وغير ذلك . أما عن الفكر اليهودى كما تصوره الصحافة اليهودية فى مصر فهو فكر بدأ حريصا على العلاقة بين العرب واليهود وان حاولت بعض الصحف أن تتحيز الى جانب اليهود وان لهم الفضل على الحضارة العربية بما نقله تراجمة اليهود من المؤلفات الى العربية . وان كان فى ذلك مغالطات عديدة . (١) والى جانب ذلك لانجد اهمالا لدى اليهود المصريين لفكرة شعب الله المختار والغريب انهم يستشهدون على ذلك بالعديد من الآيات القرآنية ليبرروا بها تلك النزعة لديهم من ذلك قوله تعالى: "ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب " . كما شاركت مجلة الكليم فى نشر الأدب اليهودى العربى.

ورغم أن فكر هؤلاء اليهود كان يدور فى فلك اليهودية دينا وأدبا وتاريخا الا أنه مع ذلك لم يكن فكرا يجاهر بالصهيونية والتطرف ويسير فى ركبها اللهم الا فى كتابات هؤلاء الوافدين على مصر يطلبون اللجوء والمأوى ولم يحافظوا على مايسود المجتمع المصرى من هدوء بين اليهود والمسلمين ولذا فاننا نستطيع القول ان الفكر اليهودى المصرى فى القرن العشرين والذى يدور فى فلك اليهودية كما قلنا يرجع الى أحد أمرين.

---

١) هناك العديد من المؤلفات اليهودية وغيرها ترد على نظرية فضل اليهود على الحضارة العربية نذكر منها على سبيل المثال :
- الفكر العربى ومركزه فى التاريخ لاولبرى.
- الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى لآدم ميتز.

الأول : الحاح الذكرى على عقولهم ، والحنين الى بقعة يؤمنون بقدسيتها عندهم ، ولهم فيها تراث دينى تماما كما يشتاق المسلمون فى أى بقعة من بقاع العالم الى الأراضى الحجازية حيث الكعبة المشرفة . وقبر الرسول ومسجده فى المدينة وذكريات أيام الدعوة الاولى بحلوها ومرها .. هؤلاء وهؤلاء يتمنون العيش فى تلك البقع المقدسة دون أن يدور فى خلدهم احتلالها ونزعها من أصحابها كما فعلت الصهيونية فى فلسطين .. كان هذا الفكر هو سمة فكر معظم اليهود المصريين بل نذهب الى أبعد من هذا فنقول انه فكر اليهود فى كافة المجتمعات اليهودية التى عاشت وتربت فى ظل الاسلام والمسلمين ، وتعايشت معهم وعاملتهم وتعاملوا معهم ، فقد أنساهم الاسلام الغربة المزعومة التى يحتج بها دعاة الصهيونية ، وجعلهم المسلمون - تنفيذا لتعاليم الاسلام - يستشعرون ذاتهم ومقدرتهم وامكاناتهم وسمح لهم بأن يأخذوا أماكنهم فى أى موقع من المواقع فى الدولة سياسية كانت أم اجتماعية أو قيادية . شاهدنا ذلك فى مصر فى العصر الوسيط أيام المعز لدين الله وخلفه العزيز ومن جاءوا بعدهما من حكام المسلمين حتى فى العصر الحديث رأيناهم يتولون القيادات ويقلدون الوزارات على ماسبق ذكره وأخبرنا به المؤرخون اليهود أنفسهم منذ بداية الخلافة الاسلامية وماكان من انتعاش مدارس الفكر الدينى اليهودى بتأثير من المسلمين والفرق الاسلامية وخاصة المعتزلة فى بغداد ولعل معظم مؤلفات سعديا سعيد الفيومى خير شاهد على ذلك ، وفى الاندلس كانت حياة حسداى بن شفروط وابن النغريله ومناظراته مع ابن حزم ، وانتاج موسى بن عزرا الادبية ، ويهودا الحريزى وغيرهم من مفكرى العصر الوسيط خير دليل على زوال الفوارق بين اليهود والمسلمين اللهم الا فى تلك الفترات التى كان بعض اليهود يحاولون فيها العودة الى النزعة العنصرية والتسلط والتى سرعان مايردهم المسلمون عنها الى الصواب طوعا أو كرها اذا لزم الامر حفاظا على كيان المجتمع الاسلامى اولا وأخيرا . وهكذا كان يهود مصر لم يشعروا بأية فوارق فى وسط المجتمع الذى يعيشون فيه .

ثانيا : بدأت مع بداية القرن العشرين ضغوط كثيرة كانت تضغط بها الصهيونية بعنف على يهود مصر ليسيروا فى ركب الصهيونية ، وكلما اشتد

الضغط بدأ التحول شيئا فشيئا نحو الخط الصهيونى ، وبدأ الفكر اليهودى يكرر الحديث عن تاريخ اليهود والوطن القومى ، ونشر أخبار الحركة الصهيونية فى شتى أنحاء العالم . فاذا وضعنا فى الحسبان كيف كانت الصهيونية تضغط بشدة على مختلف الحكومات الرسمية فى أوروبا فى محاولة لتنفيذ مخطط معين ، وضح لنا أن طوائف اليهود المصرية لم يكن فى امكاناتها تحمل مثل تلك الضغوط التى كانت تساندها قوى الاحتلال فأخذ الضعف يدب فيهم ولو لفترات ربما امكنهم التخلص منه بعد ذلك ، وان المتصفح لفكر هؤلاء اليهود من خلال مانشر فى الصحف التى كانت تصدر يستطيع بشئ من الحياد الاسلامى الوقوف على أن مضمون فكر يهود مصر - بل ويهود العالم الاسلامى أجمع - لم يكن فى مجمله فكرا صهيونيا متطرفا مواكبا لنشاط ومبادئ الحركة الصهيونية ولايتعدى مايقال دائما من أن لكل قاعدة شواذها ، وقد استغلت الصهيونية هذه الشواذ من ناحية ، وماكان ينشر فى بعض الصحف عن التاريخ اليهودى والتراث الدينى المتطرف فى تحويل العقول الى الصهيونية .

هذا فيما يتعلق بفكر يهود مصر بأشكاله المختلفة . أما الجانب الآخر من هؤلاء اليهود الذين ينسبون خطأ الى يهود مصر وهم أولئك اليهود الذين قلنا انهم وفدوا على مصر مهاجرين أو هاربين من ظلم أو اضطهاد فى بلادهم نعتقد أنهم السبب الأول فيه بحكم استقراء تاريخ اليهود فى مختلف نكباتهم فان هؤلاء قد جاءوا الى مصر لغرضين لاثالث لهما أولهما هدف مشترك مع قوى الاحتلال الأجنبى لمنطقة الشرق عامة بأن يكونوا عاملا مساعدا على تثبيت قدم الاحتلال فى المنطقة عن طريق التغلغل فى داخل الطوائف اليهودية ومنها ينفذون الى داخل المجتمع نفسه ليحطموا قيمه ومبادئه يدل على ذلك أنهم كثيرا ماكانوا يختلفون مع السياسة البريطانية حول خطة التنفيذ وفى حالات عديدة كانوا يتصرفون من جانبهم اذا ما أحسوا قيود بريطانيا على أعمالهم . أما الهدف الثانى فهو هدف خاص بهم وحدهم وهو العمل على جعل مصر ويهودها مركزا من مراكز الانتقال الى الأرض المزعومة ، ولن يتأتى ذلك الا اذا سيطروا على يهود مصر وضموهم الى صفوفهم واستغلوا ثرواتهم فى الاعداد للانقضاض على الأرض . من هؤلاء اليهود الصهاينة من ولد على أرض مصر

وتربى فى احضانها . ولكن آباءه وأجداده لم ينسوا هدفهم فأرضعوه لبن الصهيونيه وأرسلوه بعيدا عن مصر ، لا ليكمل تعليمه العام وثقافته كما يزعمون وانما ليكمل تعليمه فى مدرسة الصهيونية ويعود الى مصر وهو المصرى المولد الصهيونى المعتقد فيشرف على اصدار الصحف والمجلات لينشر فيها ماتعلمه على يد قادة الصهيونية فى الخارج ومن هؤلاء الذين سلكوا هذا المسلك البير موصيرى والبير ستراسلسكى وغيرهم كثيرون لم ينتجوا من فكر فى مصر سوى مايتعلق فقط بالصهيونيه ومبادئها ، ولم يتركوا أية مؤلفات لها قيمة أدبية أو اجتماعية أو دينية ، وان ماتركه اليهود فى مصر من مؤلفات وأبحاث كان من نتاج يهود مصر الذين تربوا فى ظل حضارتها العربية الاسلامية لا أولئك الهاربين اليها والمستغلين حسن ضيافتها .

****
**

أولا : المراجع العربية :

القرآن الكريم .

١) د. ابراهيم عبده : أبو نظاره ، مكتبة الآداب ١٩٥٣م .

٢) ابن أبى أصيبعة : عيون الانباء فى طبقات الأطباء . بيروت١٩٦٥ م .

٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة . طبعة دار الكتب.

٤) ابن العبرى: تاريخ مختصر الدول.

٥) ابن كثير : البداية والنهاية. دار الفكر . بيروت .

٦) ابن قيم الجوزيه : أحكام أهل الذمة . نشر د. صبحى الصالح. دمشق ١٩٦١م.

٧) ابن منظور : لسان العرب. اعداد وتصنيف يوسف خياط . دار لسان العرب . بيروت.

٨) ابوجعفر محمد بن جرير الطبرى : تاريخ الرسل والملوك . دار المعارف. مصر .

٩) أبو القاسم عبدالرحمن بن الحكم: فتوح مصر وأخبارها . ليدن . ١٩٢٠م.

١٠) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية. الانجلو ١٩٦٠م .

١١) أحمد محمد غنيم . أحمد أبوكف : اليهود والحركة الصهيونية فى مصر . كتاب الهلال . يونيو ١٩٦٩ م.

١٢) أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن . مطبعة مصر ١٩٣٤م .

١٣) آدم ميتز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى أو عصر النهضة فى الاسلام ترجمة محمد عبدالهادى أبو ريده . لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٧ م .

١٤) اسرائيل ولفنسون: موسى بن ميمون حياته ومصنفاته . لجنة التأليف والترجمة والنشر .

١٥) د. ألف محمد جلال : الادب العبرى القديم والوسيط . مطبعة جامعة عين شمس ١٩٧٨م .

١٦) القلقشندى : صبح الاعشى فى صناعة الانشا . طبع دار الكتب .

١٧) المسعودى : مروج الذهب . تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد . المكتبة التجارية . مصر .

١٨) الياس الايوبى : تاريخ مصر فى عهد الخديو اسماعيل. دار الكتب ١٩٢٢م .

١٩) ترثون أ. س . : أهل الذمة فى الاسلام . ترجمة حسن حبشى.

٢٠) تقى الدين أحمد بن على المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار بولاق ١٢٧٠هـ.

٢١) جيمس هنرى برستد : فجر الضمير . ترجمة د. سليم حسن . الألف كتاب مكتبة مصر .

٢٢) د. حسن ظاظا : الفكر الدينى اليهودى : أطواره ومذاهبه . مكتبة سعيد رأفت

٢٣) د. حسن ظاظا : الشخصية الاسرائيلية . مجلة عالم الفكر . يناير ١٩٨٠م .

٢٤) دى لاسى أوليرى : الفكر العربى ومركزه فى التاريخ . ترجمة اسماعيل البيطار. دار الكتاب اللبنانى ١٩٧٢م .

٢٥) سامى عزيز : الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال البريطانى. دار الكاتب العربى للطباعة والنشر سنة ١٩٦٨م . القاهرة .

٢٦) د. سعاد ماهر محمد : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون . ج ١. المجلس الاعلى للشئون الاسلامية .

٢٧) د. سعيد عاشور : المجتمع المصرى فى عصر المماليك . القاهرة ١٩٦٣م.

٢٨) سهام عبدالرازق : صحافة اليهود العربية فى مصر . رسالة ماجستير . آداب القاهرة ١٩٧٨م .

٢٩) سيجموند فرويد : موسى والتوحيد . ترجمة د. عبدالمنعم الحفنى. ط ثانية . الدار المصرية ١٩٧٨ م .

٣٠) صموئيل كريمر نوح : من ألواح سومر . ترجمة طه باقر . مراجعة د. أحمد فخرى . مكتبة المثنى بغداد .

٣١) عادل أمين الصيرفى : صحافة الفكاهة فى مصر منذ نشأتها حتى سنة ١٩٢٥م. القاهرة ١٩٧٢م .

٣٢) د. عبدالعزيزصالح : الشرق الادنى القديم . الانجلو ١٩٧٢م.

٣٣) عبدالوهاب النجار : قصص الأنبياء . دار الثقافة . بيروت . لبنان .

٣٤) د. عبدالمنعم أبوبكر : بلاد النوبة . المكتبة الثقافية . ابريل ١٩٦٢م.

٣٥) عبدالمنصف محمود : اليهود والجريمة . المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ١٩٦٧م .

٣٦) على ابراهيم عبده ، خيرية قاسميه : يهود البلاد العربية . منظمة التحرير الفلسطينية . بيروت ١٩٧١م .

٣٧) مراد فرج : القراءون والربانيون . القاهرة ١٩١٨ .

٣٨) مراد فرج : شعار الخضر . مطبعة الرغائب ١٩١٧م .

٣٩) مراد فرج : أيوب . مطبعة العالم العربى . القاهرة ١٩٥٠م .

الدوريات :

٤٠) مجلة اسرائيل.

٤١) جريدة مصر الاسرائيلية .

٤٢) مجلة التهذيب .

٤٣) مجلة الاتحاد .

٤٤) مجلة الكليم .

ثانيا- المراجع الاجنبية :

1- Ashtor: Saladin and the Jews, Hebrew Union College Annual. V. XXVII. Jerusalem 1956.

2- Erman, A.: The Literature of the Ancient Egyptians. Translated by A.Blackman 1923.

3- J.Mann: The Jews in Egypt and Palastine under Fatimid Caliphs.V.I. Oxford 1920.

4- Joseph Halpern; History of our people in Rabbinic time. London 1939.

5- Leo W. Schwarz: The Jewish Caravan Farrar and Rinehert. N.Y. 1935.

6- Menachem Ribalow: The Flowering of Modern Hebrew literature N.Y. 1959.

7- Rapheal Patai: Encyclopedia of Zionism and Israel N.Y. 1971.

* * *